واقعية "الأخلاق، والقيم" لدى مدرسة " كورنيل" الأمريكية ــ "بيتر ألبرت رايلتون" نموذجًا

دراسة تحليلية نقدية فى فلسفة القيم

د.معتز احمد احمد ابراهيم ابو الخير

مدرس بقسم الفلسفة ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة

Motaz.aboelkair@mans.edu.eg

تاريخ استقبال البحث: 2021/7/16
تاريخ قبول النشر :2021/8/22

الملخص:

تعد مدرسة "كورنيل الأمريكية" من أشهر المدارس الفلسفية الأمريكية التى اهتمت بابراز مدى واقعية الأخلاق والقيم ، ذلك على النقيض مما كان يزعمه البعض بأن مجال "الأخلاق" و"القيم" مفارق للواقع، فكيف يمكننا تفسير طاعة الإنسان لأحكامهما المفارقة للواقع .

من هنا تأتى أهمية مدرسة "كورنيل" التى اهتمت بإخضاع كافة الموضوعات الأخلاقية غير الخاضعة لحيز "الزمكان" إلى نطاق الموضوعات الطبيعية عبر الأخذ بأسباب العلم التجريبى الحديث، والذى يعد سمة هذا العصر. هذا النوع من الواقعية يمكن أن نسميه "بالواقعية المفرطة " والذى تبلور أيضًا عند أحد أتباعها وهو "بيتر ــ رايلتون" فهو يعتقد أن الأحكام الأخلاقية تحمل قيم الصدق فى حد ذاتها، وأن الخصائص الأخلاقية تتبع الخصائص الطبيعية ، ويعتقد رايلتون كذلك أن التفكير العقلانى يخفق فى الكشف عن السبب الحقيقى وراء طاعة الأوامر الأخلاقية بالرغم من تطبيقها على العالم الخارجى المحيط به.

من هنا سنحال بيان دور كلاً من : مدرسة "كورنيل الأمريكية" و " بيتر رايلتون" فى تفسير التشابه بين مجال "الواقعية" ومجال "القيم" و "الأخلاق" ؟ مما يفسر كيف يطيع الإنسان أحكامهما.

الكلمات المفتاحية" : الأخلاق" ــ " القيم" ــ " الواقعية" ــ "مدرسة كورنيل" - "بيتر رايلتون".

يقول "بيتر رايلتون : "

"... لا يمكن محو القيم المختلفة ومعاييرها من حياتنا ... فعادةً ما نتحدث ونتساءل عما هى أفضل طريقة تمكننا من عمل أفضل الأشياء من خلال اختياراتنا وتجاربنا الخاصة؟، كذلك نتسائل عن "الدروس التاريخية" المستفادة من الأخلاق والسياسة وكذلك عن " اختبار الزمن " فى علم الجمال والعلوم العملية المختلفة ؟. ومن ثم يمكن أن يُفهم من هذه التساؤلات أنها نمط من أنماط تعلم القيم والمعايير ، فغالبًا ما تمكننا الرؤية الفلسفية للقيم والمعايير من الاجابة عن مثل هذه التساؤلات."

" بيتر رايلتون (1950م ـــ) "Railton,Peter

محتويات البحث:

تمهيد...

(أولاً) : ـ موقف المدرسة الواقعية من القيم والأخلاق.

(أ) الواقعية ـــ تعريفها ومبادئها :

(1) الواقعية فى الفلسفة اليونانية (2) الواقعية فى فلسفة العصور الوسطى (3) الواقعية فى فلسفة الحديثة والمعاصرة

(ب) النزاع بين "الواقعية Realism" و"ضد ـــ الواقعيةAnti-Realism":

(1) مبررات " ضد ـ الواقعية " (2) مبررات " الواقعية ":

(جـ) رؤية الواقعية " للمغالطة الطبيعية Naturalistic Fallacy ":

(1) ماهية المغالطة الطبيعية. (2) حجة السؤال المفتوح. (3) نقد حجة السؤال المفتوح عند "مور".

(ثانيًا) : ـ " مدرسة كورنيل Cornell " ومكانة " بيتر رايلتون " فيها .

(أ) ماهية " مدرسة كورنيل " وأبرز روادها. (ب) رؤية " مدرسة كورنيل " للقيم والأخلاق.

(جـ) رؤية "مدرسة كورنيل" الى العلاقة : "التابعية Supervenience" بين السمات الأخلاقية والسمات الطبيعية.

(د) تقييم مفهوم " مدرسة كورنيل " للتابعية .

(ثالثًا) :ـــ مكانة القيم والأخلاق عند" بيتر رايلتون " .

(أ) الأسس العامة فى نظرية القيم الأخلاقية عند " رايلتون ":

(1) مبدأ "الرد Reduction (2) مذهب "التداعى المركب Sophisticated Consequentialism"

(ب) القيم "اللا ـــ أخلاقية" كبداية لتأسيس "القيم الأخلاقية" عند "رايلتون":

(1) اشكالية التمييز بين الواقعة والقيمة (2) ماهية القيم اللاـــ أخلاقية عند " رايلتون "

(جـ) القيم "الأخلاقية" عند "رايلتون" وضرورة التقييم الأخلاقى:

(1) ماهية القيم "الأخلاقية" عند "رايلتون" (2) طبيعة القيم الأخلاقية عند " رايلتون ."

(3) دور القيمة الأخلاقية فى الملائمة بين " الرغبات " و " الاهتمامات " عبر التجربة الشخصية :

(4) دور " العقلانية الاجتماعية " و " التقييم الأخلاقى " فى ترسيخ القيمة الأخلاقية .

(رابعًا) :ـــ تقييم نظريه" بيتر رايلتون " فى القيم الأخلاقية.

(1) تقييم الأسس التى أقام عليها " ربيتر رايلتون " نظريته.

(2) تقييم نظرية القيم الأخلاقية عند " رايلتون."

-التعقيب.

تمهيد...

تُثار عديد من الشكوك حول مدى واقعية "القيم والأخلاق" نظرًا لاختلاف مجالهما عن مجال "الواقعية". فما هو واقعى خاضع لحيز "الزمكان" ، والآخر ـــ أى "القيم والأخلاق" ــ غير خاضع لهذا الحيز؛ ومن ثم ظهر من يؤيدها ومن يرفضها. ولعل ما يؤكد هذا الخلاف النزاع التقليدى بين "المثاليين" و"الواقعيين" لاسيما الواقعيين الطبيعيين ؛ فالمثاليون يشتركون فى انكار التجربةExperience مصدرًا للمعرفة بالحقائق الثابتة والقيم المطلقة على السواء أو أنها مجرد وسيلة لإدراك الأشياء، بل العقل أو الحدس أو الوعى هو أداة الإدراك. كما أن القيم ليست وسيلة إلى غاية تقويم خارجية، بل هى بينة بذاتها لا تحتمل برهانًا أو تقبل تبريرًا، عامة وليست جزئية، ضرورية وليست عارضة، لا تقبل شكًا أو جدلاً أو تناقضًا، تشبه بديهيات الهندسة والرياضيات ومصادراتهما. فالعقل ــ إذن ــ بمثابة قوة فطرية فى الناس جميعًا، وهو مصدر كل معرفة يقينية ، فأحكامه صادقة دومًا وبصورة محتومة تتخطى الزمكان. وخير ممثل لهذا الاتجاه "كانط(1724م ــ 1804م) Kant,I " بثالوثه فى النقد(*).

هذا على النقيض من موقف "الواقعيين" وخاصة "الواقعيين الطبيعيين" الذين يتفقون فى أن الانسان والأرض والكون جميعًا أجزاء من طبيعة واحدة كبرى، تسرى عليها قوانين واحدة، وتدرس بطريقة واحدة، ولا بد لكل تفسير أن يقع فى نطاق ما هو طبيعى، فليس وراء الطبيعة شىء، وليس سوى التجربة مصدرًا للمعرفة أو القيم. فالتجربة هى مصدر الأحكام العلمية مثلما هى منشأ أحكام القيمة. بمعنى أنها مصدر التفرقة بين "الحق" و "الباطل" أو "الصواب" و "الخطأ" ومن ثم رفضوا كل معرفة أولية قبليةaPriori .

نتيجةً لهذا النزاع السابق تعرضت النظريات الأخلاقية لعديد من الانتقادات نظرًا لتنوع اتجاهات ومذاهب كل فيلسوف، فهناك من يتخذ المثالية أساسًا لمذهبه يعارض من خلالها من يتخذ الواقعية أو الطبيعية. فكلُ يحكم على صحة نظريته من مُنطلق ايمانه بمذهبه فقط. والحقيقة إن المشاعر الإنسانية والفكر الأخلاقى سواء توصلنا إليهما من خلال المعرفة القبلية أو البعديةapesteriori ؛ الا أنهما جزءُ لا يتجزأ مع بعضهما البعض، خاصة عندما نستطبن نوايا لفهم طباعنا الأخلاقية، وفهم الآخرين.

(*) ان فلسفة كانط بأسرها يمكن أن نعدها فلسفة نقديه ؛ لديه ثلاث كتب نقديه :

- الأول: "نقد العقل النظرى الخالص" (1780م) حيث ينتهى من خلاله كانط إلى أنه لا ينبغى أن نلتمس فى الأشياء تفسيرًا لقوانين العقل ، بل ينبغى أن نلتمس فى العقل تفسيرًا لقوانين الأشياء.
- الثانى: "نقد العقل العملى" (1788م) وهو العلم بما ينبغى أن نأتيه من أفعال، بالمعرفة اليقينيه التى تتعلق بعالم "الأشياء فى ذاتها". وبذلك تتم المقابلة التى عارض بها كانط بين "السموات المرصعة بالنجوم من فوقنا"، وهى تعنى لديه عالم الظواهر، وبين "القانون الخلقى فى أعماقنا" الذى يشير إلى مشاركة النفس الصورية الترنسندتالية فى عالم الأشياء فى ذاتها. والإنسان وحده هو الذى يشعر بإلزام يوجب عليه أن يتصرف وفقًا لمبدأ معين.
- الثالث: "نقد ملكة الحكم" (1790م) ويتعلق بالبحث عن أسس لعلم الجمال ، ويحأول من خلاله كانط إثبات عدم وجود قاعدة بعينها مطلقة ، يستطيع الإنسان من خلالها أن يطلق حكمًا كليًا موضوعيًا حول جمال أى كائن من الكائنات. ويعنى هذا أن الحكم على ما هو جميل لا ينتمى إلى ما هو "كلى شامل" ، وإنما إلى ما هو ذاتى داخلى فى الإنسان ، لذلك تتعدد الأحكام وتختلف تبعًا لاختلاف الأشخاص الذين يطلقونها.

ـ(قنصوة، 1981م، ص ص 110-111).

بناءً على ذلك تظل الأخلاق والقيم مستعصية على الفهم حيث نتحدث عنها كما لو أنها ذات سلطة معرفية ولكن أى نوع من هذه المعرفه تكون ؟ ، كيف نكتسبها ؟ وكيف نختبرها ؟ . نحن نخضع إليها كما لو أنها تمكننا من نقد وتبرير أهدافنا الشخصية ،وعاداتنا ،وتقاليدنا .

إن الإشكالية الرئيسة فى الأخلاق والقيم تتمثل فى كيفية فهم ما هو خارج نطاق "الزمكان" من خلال ما يوجد داخل هذا النطاق؟. فعند قولنا إنه من الخير أن أقول الصدق أو أفعل كذا وكذا... الخ ، نتساءل كيف يتحكم مفهوم خارج نطاق "الزمكان" فينا ؟ أى أنه مفهوم ذو سلطة عليا.

من هنا تكمن الفكرة الرئيسة فى هذا البحث والتى نتناولها من خلال منظور مدرسة أمريكية جديدة سميت بـ "واقعية ــ كورنيل" سيتم تناولها تفصيلاً فى سياق البحث .**والسبب فى تناولنا لهذه المدرسة ومن ثم أهميته** أنها اهتمت بإخضاع كافة الموضوعات الأخلاقية غير الخاضعة لحيز "الزمكان" إلى نطاق الموضوعات الطبيعية عبر الأخذ بأسباب العلم التجريبى الحديث، والذى يعد سمة هذا العصر. هذا النوع من الواقعية يمكن أن نسميه "بالواقعية المفرطة " والذى تبلور أيضًا عند أحد أتباعها وهو "بيتر ــ رايلتون" الذى اتفق مع مدرسته فى أشياء واختلف معها فى أشياء أخرى ؛ حاولنا إظهارها فى سياق البحث.

أما عن أبرز تساؤلات البحث:

1. كيف يمكن إدراك ما هو خارج حيز "الزمكان" وما أبرز إشكاليات هذا التداخل؟
2. ما رؤية " واقعية ــ كورنيل " فى تفسير التداخل بين العالمين ؟ وما أهم ملامحها ؟
3. ما رؤية " بيتر ــ رايلتون " للقيم الأخلاقية ، وكيف استطاع تبرير وجودها وتعريفها؟

وبناءً على ذلك قسمنا البحث إلى أربعة موضوعات رئيسة:

الموضوع الأول ؛ اهتمام المدرسة الواقعية ــ بصفة عامة ــ بالقيم والأخلاق:

نحاول فيه إظهار أهم التعريفات المختلفة لمفهوم "الواقعية" للوقوف على أبرز سماتها، بالإضافة إلى تتبع مختصر لواقعية "القيم والأخلاق" عبر الحقب الفلسفية المختلفة لإثبات أن هذه المشكلة ليست حديثة ، وإنما قديمة قدم الفلسفة ، مع التأكيد على تعدد أنواع الواقعية. هذا بالإضافة إلى إبراز بعض إشكاليات "واقعية القيم" من خلال مفهوم المغالطة الطبيعية لدى " جورج إدوارد مور."

الموضوع الثانى ؛ " مدرسة كورنيلCornell " ومكانة " بيتر رايلتون " :

نحاول فيه إظهار ماهية "مدرسة كورنيل"، نشأتها، وأهم ملامحها. بالإضافة إلى رؤيتها إلى القيم والأخلاق، تلك الرؤية المناقضة تمًامًا لرؤية "جورج مور". كما حاولنا تفسير مفهوم "التابعية Supervenience" بين السمات الأخلاقية والطبيعية، وإبراز نقاط القوة والضعف لهذه المدرسة.

الموضوع الثالث ؛ مكانة القيم والأخلاق عند" بيتر رايلتون: "

نحاول فيه إظهار المبادىء العامة والأسس التى اعتمد عليها "رايلتون" فى صياغة نظريته مثل: "مبدأ الرد" و "مذهب التداعى المركب" . بالإضافة إلى تأسيسه لتعريف القيم الأخلاقية من خلال ردها إلى القيم اللا ــ أخلاقية، هذا الرد الذى أظهر أهمية الدور العقلانى والتقييمى فى هذه النظرية.

الموضوع الرابع ؛ تقييم نظرية " رايلتون" فى القيم الأخلاقية :

نحاول فيه تقييم نظرية رايلتون من خلال إظهار بعض جوانب الضعف فيها سواء أكانت فى أسس النظرية أو النظرية ذاتها .

أما عن المنهج المستخدم في هذه الدراسة:المنهج التحليلي النقدي الذي يظهر من خلال عرضنا أفكار"رايلتون" المتعلقة بالقيم الأخلاقية والعمل علي تحليلها وبيان آرائه في هذا الصدد.

ومن الصعوبات التي واجهت هذا البحث هو ندرة المصادر العربية أو الأجنبية الموجودة في المكتبات العربية.

(أولاً) : ـ موقف المدرسة الواقعية من القيم والأخلاق .

تعد "الواقعيةRealism " ذات طابع إشكالى بارز نظرًا لتعدد الرؤى المختلفة حولها قديمًا وحديثًا، وهذا ما أكدته الفلسفة الأمريكية ــ على سبيل المثال ـــ على مدار تاريخها، حيث ظهرت أربع حركات فلسفية أمريكية ذات طابع واقعى بارز ـــ مختلفة نوعًا ما ــ بدءًا من القرن الثامن عشر وهى كالتالى:"الواقعية الطبيعيةNatural Realism "،"الواقعية الجديدة New Realism"،"الواقعية النقدية Critical Realism" و"البراجماتية Pragmatism". ولقد اهتمت جميع هذه الحركات بإشكاليات الواقعية وذلك من أجل إبراز الدور الإبستمولوجى؛ من خلال إثارة التساؤل التالى: **"كيف يمكن لنا معرفة شىء ما أوحقيقة ما خارجة عن عقولنا الخاصة؟" (Lachs,2008,P.650)**(*) ،وبالأحرى كيف يمكن

(*) " للواقعية Realism " ــ بصفةٍ عامة ــ معنيان يستقل كل منهما عن الآخر:

1- معنى يرتبط بالميتافيزيقا والإبستمولوجيا ، ويشير إلى أن العالم الخارجى المادى حقيقى ، وله وجوده الحقيقى .
2- معنى آخر مرتبط بمشكلة الكليات (أو الأفكار والمعانى العامة المجردة) .

أنواع الواقعية:

1- " الواقعية المباشرة Direct Realism ": الإدراك " وعى مباشر " بالأشياء ، وأنواعها:
1. " واقعية ساذجة Naive Realism " : هي وجهة نظر الإنسان البسيط الذى يعتقد بأن ما يحسه من خصائص الأشياء يعبر عن طبيعتها.
2. " واقعية جديدة New Realism " : مدرسة فكرية بدأت مع مطلع القرن العشرين كرد فعل ضد الميتافيزيقا المثالية ؛ فعلى حين يرد المثاليون كل شىء إلى العقل ، فإن هذه المدرسة ترد العقل إلى كل شىء .
3. " واقعية المنظور Perspective Realism " : رأى أصحاب واقعية المنظور أن الواقعية الجديدة قد أخطأت عندما جعلت للشىء الواحد صفتين متناقضتين (المنضدة ـ مثلاً ــ لا يمكن أن تكون مستديرة وبيضاوية معًا) ؛ فما يبدو لنا من المظهرين المتناقضين للشىء الواحد ليس هو حقيقة الشىء، وإنما الحقيقة كما تبدو لنا.

2- " الواقعية غير المباشرة Indirect Realism ": الإدراك إدراك للصور التى تتكون فى العقل ، وتمثل موضوعات العالم الخارجى ، وأنواعها :**1.** " الواقعية التمثيلية Representative Realism ": تذهب إلى أن الإدراك الصحيح هو الوعى المباشر بالأفكار الحسية التى تمثل بدورها الموضوعات الخارجية. مثال: فالمنضدة تصدر عنها إشعاعات تصافح العين، وتحدث بالشبكية تغيرات كيميائية، وترسل نبضات إلى العصب البصرى فيستقبلها المخ، وبذلك يدرك العقل الأفكار الحسية التى تُمثل شكل ولون وكل الخصائص المرئية للمنضدة.

2 . "الواقعية النقدية Critical Realism": أقامت فعل المعرفة على ثلاثة عناصر"الذات والموضوع والمعطى Datum"وهو الشىء الجديد فى نظريتهم. والمعطى هو مضمون الوعى ، ولكنه ليس صورة أو نسخة من الواقع الفيزيائى؛ أى أن الأفكار الحسية معطيات حسية ،Sense Dataأو محتويات عقلية أولية تتركب منها الموضوعات الخارجية فى الإدراك لحظة إدراكها.

3- " الواقعية الطبيعية Natural Realism" : وتؤمن بتجسيد الطبيعة بناءً على الحس المشترك لجميع الأفراد واتفاقهم حول إيجاد حلول عقلانية مشتركة حول اشكاليات الواقعية ، فالجميع فى اتصال معرفى وادراكى مباشر مع جميع الموضوعات التى توجد فى العالم الخارجى ، فنحن نستطيع معرفة جميع الموضوعات الخارجية والتحرى عن صدقها من خلال الاعتماد على المنطق والاستدلال. وهذا المذهب يعكس تأثره القوى بالحس المشترك الأسكتلندى Scottish وخاصة فى أعمال " توماس ريد (1710م ـــ 1796م) Thomas Reid".

التحرى عن صدق هذه الحقيقة، لا سيما إذا كانت هذه الحقيقة متعلقة بمجال الأخلاق؟ كيف يمكن إدراك ما هو خارج حيز "الزمكان" بما هو داخل ذلك الحيز؟. هذا ما سنوضحه.

(أ) الواقعية ـــ تعريفها ومبادئها :

إن تباين الرؤى المختلفة لماهية الواقعية ليس تباينًا حديثًا ، وإنما قديم قدم الفلسفة، سنحاول هنا تعقب ذلك التباين ــ بإيجاز شديد ــ عبر العصور الفلسفية المختلفة قديمًا وحديثًا، ذلك من أجل بيان كيف تدرجت الواقعية بتعريفاتها وإشكالياتها المختلفة عبر الحقب المختلفة وصولاً إلى "مدرسة ـــ كورنيل."

(1) الواقعية فى الفلسفة اليونانية:

نلمح أول ظهور للواقعية ــ لاسيما الواقعية الأخلاقية ــ عند "أفلاطون(427 ق.م ــ347 ق.م) Plato"؛ وذلك أثناء تناوله لنظرية " المُثل Ideas أو الصورForms ". تلك النظرية التى رأى فيها أنه من الأفضل ليس دراسة الأشياء الحسية فى وجودها المادى فقط ، وإنما دراستها فى صُورّها. ويؤكد على ذلك من خلال قوله بأنه خشى على نفسه بأن يصاب بالعمى إذا تطلع مباشرةً للنظر إلى الحسيات، كما يحدث للبعض أن يفقدوا النظر إذا تطلعوا إلى الشمس أثناء الكسوف. **(أفلاطون،2001م،87).**

وتعد نظرية "المُثل أو الصور "ـ غير الخاضعة لحيز "الزمكان" ـــ عند أفلاطون بمثابة الحقيقة الثابتة وراء الظواهر المحسوسة دائمة التغير. تلك الظواهر الخاضعة لحيز "الزمكان" سواء كانت هذه الظواهر طبيعية أو أخلاقية وهذا ما يميزها، إذ تميزت تلك المُثل أو الصور فى المحاورات الأفلاطونية المبكرة بأنها بمثابة تصورات تتعلق دائمًا بالأخلاق. وتميزت هذه التصورات بأنها بمثابة علل مُباطنة للسلوك الانسانى ولم تكن مجرد ماهيات مفارقة فى عالم آخر بعيد يعلو على العالم المحسوس. **(مطر،1998م،ص162).**

وباستطراد العلاقة بين " عالم المُثل أو الصور " و " العالم المحسوس " عند أفلاطون ؛ نجده يعد هذه المحسوسات على تغيرها بمثابة تمثيل لصورٍ كليةٍ ثابتةٍ هى "الأجناس والأنواع" ، وتتحقق على حسب أعداد وأشكال ثابتة كذلك ، فإذا فكرت النفس فى هذه الماهيات الثابتة ، أدركت أولاً أنه لابد لإطرادها فى التجربة من مبدأ ثابت ؛ لأن المحسوسات حادثة تكون وتفسد ، وكل ما هو حادث فله علة ثابتة ولا تتداعى العلل إلى غير نهاية ، كما أن الفرق بعيد بين المحسوسات وماهياتها ، فإن هذه كاملة فى العقل من كل وجه ، والمحسوسات ناقصة تتفاوت فى تحقيق الماهية ولا تبلغ أبدًا إلى كمالها، بالإضافة إلى أن هذه الماهيات بهذه المثابة معقولاتٍ صرفة.**(كرم،2012م،ص91).**

ومن ثم لا توجد هذه المعقولات سواء أكانت " عللاً أو مبادىء ثابتة " إلا فى عالم المُثل أو الصور؛ حيث تكن حقيقة المُثل فى أنها غير متحولة لا تُغير شكلها ، ولا تُولد ولا تموت ، ولا تقبل أبدًا عنصرًا ما آتيًا من مصدر آخر. إنها غير خاضعة لإدراك الحواس .**(أفلاطون، 2014م ، ص 101).**

وليس معنى تمييز أفلاطون السابق بين " عالم الحس " و " عالم المُثل الصور " وجود انفصال فيما بينهما ، أو تفضيله لعالم دون آخر ، على العكس ليس هناك انفصال ، وإنما هناك ارتباط فيما بينهما، وهذا ما أكدته نظريته فى الرياضيات والأعداد .

ويمكن تلخيص رؤية أتباع هذا الاتجاه فى الآتى : إننا فى إدراك معرفى مباشر مع موضوعات العالم الخارجى وليس فى حالة انفصال . كما يمكننا معرفة هذه الموضوعات وسماتها دون اللجوء إلى العقل أو الاستدلال ـــــ وهذا ما يؤيده "رايلتون"ـــ وهذا الاتجاه يتعارض مع المثالية والاتجاهات الدينية المختلفة .

ـــ (انظر؛ جعفر، 2012م، ص ص 110 ــ 115),(Cp; John Lachs , 2008,Pp.650-65)

ولقد استلهم " أفلاطون " فكرة المُثل أو الصور من الرياضيات أو الهندسة الفيثاغورية ؛ فالفيثاغوريون هم الذين انصرفوا عن البحث فى المادة التى تتكون منها الأشياء ، واعتنوا بتحديد النسبة الهندسية الواضحة فى العقل، وانتهوا من هذا إلى القول بأن العدد أو الشكل الهندسى هو حقيقة الأشياء.**(مطر،1998م، ص 162).**

ولكن كيف يمكن التعرف على العالم الحقيقى " عالم المُثل " ؟ أو كيف يمكن أن يحدث الارتباط بين العالمين (عالم الحس وعالم المُثل أو الصور) ؟ وهذا التساؤل أثاره أفلاطون بشكل آخر قائلاً:

" فى نظرى إذن، لا بد أن نميز أولاً الأمور التالية: ما الكائن الدائم الموجود ولا حدوث له، وما المُحدث دومًا وغير الموجود أبدًا ؟ إن الواحد يُدرك بالفكر بواسطة البرهان، إذ يوجد دومًا على حالٍ واحِد، والآخر يُخمَنه الظن بواسطة الحس الخالى من البرهان. إنه محدث بالٍ، وفى الحقيقة لا يوجد أبدًا". (أفلاطون، 2014م، ص197).

ويدل النص السابق لأفلاطون؛ على وجود منهجين لمعرفة هذين العالمين:"البرهان" و"الظن" فيُنسب "البرهان" إلى عالم المُثل أو الصور ـــ غير الخاضع لحيز الزمكان ـ وهذا ما ينطبق على الأعداد. وعلى النقيض ينسب " الظن" إلى العالم الحسى ـــ الخاضع للزمان والمكان ـــ كما يتضح من خلال المنهجين اعتراف أفلاطون بواقعية عالم الحس وموجوداته المتغيره على أساس أنه الأداة التى تتحقق فيها أشباه المُثل، ويأتى له هذا المعنى من خلال مشاركته فى العالم المعقول الثابت، وبالرغم من مشاركته فى هذا العالم السرمدى على حد تعبير أفلاطون ، إلا أنه يرى أن هذا العالم الثابت له الأولوية الضرورية عن العالم الحسى المتغير فيقول عنه :

" هو نوع ثابت لا يستحيل ، لم يولد ولا يبلى ، ولا يقبل فى ذاته آخر من أيَة جهة صدر ، ولا يُداخل هو كائنًا آخر على أى وجه وفى أى قسم منه ، وهو غير منظور ، وعلى كلَ حال لا يناله حسَ. وهذا النوع قد حظىّ الفكرُ بالتنقيب عنه " . (أفلاطون، 2014م، ص251).

وهذا ما تُبرهن عليه بوضوح شديد العلاقات الرياضية مثل (1+1=2)، فإنها قد تبدو تصورات غير زمنية لا يمكن أن تتغير ، كما أنها تنطبق فى أى مكان فى العالم الواقعى، فهذه العلاقة لا تُلتمس بالحواس، بل بضربٍ من البرهان الهجين المختلط ... فالبرهان الصحيح الدقيق والمنطق الصادق ناصرُه ومنجده. وهذا هو البرهان المدقَّق فيه: مادام شىء يغاير آخر ، وهذا الآخر يغاير ذاك الشىء ، بحيث لا يحدُث واحد فى الآخر ولا ينشأ فيه أبدًا ، فلن يصير شيئًا واحدًا بالذات فى آنٍ واحدٍ ، وهما اثنان. **(أفلاطون، 2014م، ص ص 251-252).**

*** ويمكننا الاستنتاج : بالمنهج نفسه تبرير الواقعية الأخلاقية. فبالرغم من وجود اختلاف قوى بين عالمين مختلفين ظاهريا؛ عالم ذو طابع "زمكانى" ، وآخر غير خاضع لحيز "الزمكان". الا إنه استطاع أفلاطون التوحيد بينهما، وذلك من خلال رؤيته للواقع ؛ حيث استطاع تقسيم الواقع إلى جانبين؛ قد يتبين للوهلة الأولى أنهما منفصلان إلا أنهما مرتبطان: عالم مرئى بصرى Visible يتميز بالتغير باستمرار، وعالم آخر خاص بالمفهوم والصور يتميز بالثبات، وما العالم الأول إلا صورة للعالم الثانى الحقيقى.

(2) الواقعية فى فلسفة العصور الوسطى:

لقد تأثر معظم فلاسفة العصور الوسطى ـــ مثل" توما الأكوينى (1274م ــ 1225م) Tommaso d'Aquino "...الخ ـــ بنظريات كلٍ من : أفلاطون المتعلقة بالصور أو المُثل ، أو نظريات " أرسطو (384 ق.م ـــــ322ق.م) Aristotle " فى المعرفة، إلا أن هناك أفكارًا أخرى تشبه إلى حد كبير الأفكار

المتعلقة بواقعية الأخلاق قد ظهرت فى ذلك الوقت وتحديدًا فيما يتعلق بفكرة "الكليات"Universals[**] وتنقسم هذه الإشكالية إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة أسئلة رئيسة :

1. هل للكليات ــ أى الأجناس والأنواع ــ وجود فى الخارج؟ أم أن وجودها فى الذهن فقط.
2. إذا كان وجودها فى الخارج ، فهل هذا الوجود مادى أم غير مادى؟.
3. إذا كانت توجد فى الخارج ، فعلى أى نحو يكون هذا الوجود : هل توجد وحدها ، أم توجد متصلة بالأشياء ؟.**(بدوى،1979م،ص 61)**

فإذا كانت الردود المتعلقة بهذه التساؤلات تحاول القول بأن وجود الكليات وجودًا خارجيًا فهم بذلك من أتباع مذهب أفلاطون؛ إذ إن الأفراد عنده أقل مرتبة من الكليات التى توجد فى الخارج. أما إذا كانت الردود متعلقة بأن الكليات ليست إلا أسماء، أى تجريدات ذهنية ، فهم بذلك من أتباع أرسطو؛ الذى يرى أن الوجود الحقيقى هو وجود الأفراد الداخلة تحت الأجناس .**(بدوى،1979م،ص61-62) .**

فيتبين من خلال هذه الردود وجود عالمين منفصلين: أحدهما خارجى مفارق للأول ، يجب الكشف عنه وعن سماته المختلفة والتعرف عليه.

وهذا ما دفع القديس "توما الأكوينى" لمناقشة فكرة الارتباط بين العالم الخاضع لحيز "الزمكان" وغير الخاضع لهذا الحيز، وذلك من خلال فكرة "القانون الطبيعىNatural Law "[*] الذى يَرُدّ كل شىء إلى الله، تلك الحقيقة الجامعة بين العالمين السابقين. ويمكن التيقن من تلك الحقيقة من خلال العقل والاستدلال، حيث إن الانسان يسترشد بعقله لبلوغ غايته، ولا يمكن التخلى عنه. **(كوبلستون،2010م،ص157).**

ولإثبات ذلك نلاحظ أن القانون الطبيعى وحده دون الاعتماد على العقل يُعد قاصرًا، "فالقتل" مثلاً ممنوع بواسطة القانون الطبيعى، لكن يشير العقل إلى ضرورة وجود قواعد تحدد القتل وتضع عقوبات له، مادام القانون الطبيعى لا يُعرّف القتل بوضوح، ولا يزودنا بجزاءات مباشرة. بناءً عليه كانت الوظيفة الأولى للمُشّرع هى وظيفة التحديد والتعريف، وجعل القانون الطبيعى واضحًا بتطبيقه على الحالات الجزئية ، وجعله فعالاً. وينتج عن ذلك أن القانون البشرى الوضعى مُشتق من القانون الطبيعى ـ ولا يستمد هذان القانونين ماهيتهما إلا من قانون أزلى إلهى ـ وأن كل قانون بشرى لا يكون قانونًا حقيقيًا إلا بمقدار ما يكون مشتقًا من القانون الطبيعى ، ولكنه إذا اختلف مع القانون الطبيعى فى شىء ما فلن يكون قانونًا، بل انحراف عن القانون .**(كوبلستون،2010م،ص163).**

لذا يمكن أن نَعد القانون الطبيعى بمثابة مجموعة القواعد الأخلاقية التى تُعلّم دون وحى ، فإن لكل موجود قانوناً منطبعًا فى ماهيته: الموجود غير العاقل قانونه حتمى ، والموجود العاقل يدرك قانونه ويملك أن يتبعه أو يخالفه.**(كرم،2014م،ص162).**

(**) الكليات : هى المعانى المجردة مثل : الجنس، والنوع، والفصل ، والخاصة ، والعرض ، والعام ويسميها الأشاعرة أحوالاً. المصطلح العربى متدأول إلى يومنا هذا فى كتب المنطق العربية ، أما كتب المنطق الافرنجية فلا تزال تحتفظ بالاسم الذى وضعه أرسطو لها وهو " المحمولات Predicables " ، وحصرها فى أربعة لأن الموضوع نوع ، والمحمول على الموضوع إما أن يكون جنسًا أو عرضًا عامًا أو خاصة .ــ**(انظر؛ مراد وهبة ، 2007م، ص 518).**

(*) القانون الطبيعى : نشأته مردودة إلى السوفسطائيين فى القرن الخامس قبل الميلاد استنادًا إلى مبدئهم القائل بأن الإنسان مقياس الأشياء ، إذ من شأن هذا المبدأ أن ينكر الأصل الإلهى للقانون ، ويرده إلى الإرادة الإنسانية، وإلى المواضعات الإنسانية. أما عند أفلاطون فهو سابق على جميع القوانين ، وبالتالى فهو المعيار المثإلى فى تقييم القوانين القائمة وتصويبها ـ **(انظر؛ مراد وهبه ،2007م ، ص 486).**

ومن ثم يتضح وجود ارتباط بين عدة قوانين: "القانون الطبيعى"، و"القانون الوضعى البشرى" و"القانون الأزلى الإلهى" ، تلك القوانين التى تُدّلل وبقوة على الارتباط بين عالم "الزمكان" والعالم غير الخاضع لهما، فجميعها تصب فى النهاية فى أن الله هو السيد الأعلى ، وهو حاكم الكون... وهو يوجه المخلوقات العاقلة إلى غايتها بطريقة عاقلة ، من خلال المناسبة والاستقامة التى يُظهرها العقل ... ويشغل السيد مكانة طبيعية فى الهيراركية التصاعدية الشاملة للكون ، ولا بد أن يُمارِس سُلطته كجزء من خطة عامة يتم توجيه الكون عن طريقها . **(كوبلستون،2010م،ص ص166 - 167).**

***وبهذا يظهر نوعًا من التشابه والاختلاف بين " أفلاطون " و" توما الأكوينى " ، فهما يتشابهان فى الربط بين عالم الحس وعالم الصورة ــ بلغة أفلاطون ـــ إلا أنهما يختلفان فى رؤيتهما لطبيعة عالم الصورة ، حيث تغلب وثنية "أفلاطون" على رؤيته ، وكذلك إيمانية " توما الأكوينى " الذى يَرُدّ كل شىء إلى الله فى النهاية. كما أنهما يتفقان ـــ بصفة عامة ـــ حول مفهوم الواقعية التى تستند إلى مبادئ ذات طبيعة ثابتة، خاصة فى الأهداف الطبيعية ، ويمكن تمييزها من خلال العقل ، ولعل كل القوانين البشرية يتم الحكم عليها فى ضوء هذه المبادئ .

(3) الواقعية فى فلسفة الحديثة والمعاصرة:

تأسست الواقعية فى الفلسفة الحديثة واهتماماتها الأخلاقية ـــ فى ظل هذه الحقبة ـــ على مبادئ ثابتة بشكل دائم، تنتمى إلى عالم مختلف ، عالم الكيانات المجردة ، يمكن وصفه بأنه عالم شبه روحى، حيث تتواجد هذه المبادئ ، بما فيها مبادئ القيم والأخلاق ، بشكل ثابت جنبًا إلى جنب مع الحقائق الرياضية والنظريات العلمية. بناءً على ذلك تتسم الواقعية بعدة سمات أهمها:

1. إنها كانت بمثابة رد الفعل لمثالية "برادلى(1846م ـــ 1924م) Bradley,F"[*] و"بوزانكيت (1848م ـــ 1923م) Bosanquet "[**] .[***]

---

[*] برادلى: فيلسوف إنجليزى تأثر بمنهج كانط وبالجدلية الهيجلية ، بيد أن مثاليته النازعة نحو التوكيد على إيمان متعالٍ، تسلك دروبًا قريبة من دروب الشكية. فحياة الفكر عنده تظل خاضعة لفكرة العلاقة. والوجود الواقعى الوحيد فى نظره يبقى. ومن أهم أعماله: " الظاهر والواقع" ، "دراسات فى الأخلاق".- **(انظر؛جورج طرابيشى2006م، ص ص 156-157)**

[**] بوزانكيت: فيلسوف انجليزى، تأثر فى مثاليته بهيجل، وحاول أن يقيمها على أساس التجربة إن الفكرة المركزية فى فلسفة بوزانكيت هى فكرة مجاوزة الذات. فالحكم والاستدلال ، لا يمكن أن يفيدنا شيئًا عن العالم إلا إذا كان هذا العالم مركبًا من عناصر متشابكة متداخلة مع بعضها بعضًا. ـــ **(انظر ؛ طرابيشى،2006م، ، ص ص 200-201).**

[***] تعد أبرز الاتهامات الموجهه للمثالية والتى أدت إلى ظهور الواقعية : انقسام المثالية إلى فريقين متعاديين : فريق يبنى الأخلاق على الأنانية وتوكيد الذات Self- assertion ، وفريق يقيمها على الغيرية ونكران الذات Self-denial ، وفى غمرة هذا النزاع كثيرًا ما يفتقد الإنسان صلته بالمجموع الذى يعيش فيه ، والقيم التى يدين بها أفراده ، كما أن مبدأ الواجب بذلك يصبح مبدأً صوريًا ، ومن ثم يعد قاعدة سلبية فى توجيه سلوك الإنسان . وبالرغم من مبالغة المثالية فى المثل العليا إلا أنها تجاهلت الجانب الحيوانى الذى من دونه تعتل طبيعة الإنسان ، ولا تتكامل النفس البشرية.

ـــ(انظر؛ الطويل، 2006م، ص ص476 - 477)

2. انها كانت فلسفة تجريبية بالدرجة الأولى، تحتفظ بالتراث التجريبى عند "هيوم(1711م ــ 1776م)Hume,D " (****) وتطوره.

3. إنها كانت تهتم دائمًا بالتطور الجديد فى المنطق، ومدى إمكان الإفادة منه فى الفلسفة.

4. وهى مع ذلك كانت ــ كما يرى " رسل (1872م ــ1970م)Russell,B "ـــ تتسم:

- بالتحليل منهجًا.

- وبالتعددية مذهبًا ميتافيزيقيًا.

- وبالأخذ بما ذهب اليه " وليم جيمس (1842م ـــ 1910م) William James" وتطويره ، وذلك من القول بأن العناصر الأساسية التى يتكون منها العالم ، ليست عقلية ولا مادية ، بل هى شىء أبسط من هذا، يتركب منه كل عقل ومادة. **(اسلام،1980م، ص196).**

كما برز بوضوح فى هذه الحقبة المعاصرة اهتمام الواقعية "باللغة" ويمكن أن نعده سمة آخرى بجانب السمات السابقة ؛ فقد اهتمت الواقعية باللغة اهتمامًا بالغًا ، حيث إنها بمثابة الوسيلة (الأداة) لكل فلسفة، وعلى التحليل منظورًا إليه على أنه "الفحص الدقيق، والمنظم، والمستفيض لأى موضوع عن المنهج "، وعلى فصل المشكلات الغامضة المركبة إلى مسائل محددة تُعالج بصورة منفصلة، وعلى ارتباط دقيق بالعلوم الخاصة. ولذلك كان هدف الواقعى من هذا المنظور التغلب على المذهب الذاتى، وانحلال التفكير واللغة، وبوجه عام يجب أن تسير الفلسفة جنبًا إلى جنب مع تطور الخط الواقعى من التفكير . **(كوبلستون،2010م،ص ص 557 – 558).**

لذا يعد المذهب الواقعى فى صورته الحديثة مرتبطًا بالعلم نتيجة للاكتشافات العلمية الحديثة ـــ تلك الاكتشافات التى تعد سمة هذا العصر ـــ فهذا المذهب يؤمن أننا ندرك موضوعات فيزيائية توجد باستقلال عن فعل الإدراك ؛ فعلى سبيل المثال: " الحرارة " ، إن ما ندركه هو إحساسنا الخاص بالحرارة خاضع لحيز "الزمكان"، فى حين أن ما يوجد فى الموضوع الفيزيائى غير خاضع لحيز"الزمكان"- هو ببساطة القدرة على إحداث أو توليد هذا الإحساس فى الذات. هذه القدرة لا تُدرك ، وإنما يُستدل عليها عن طريق نظرية علمية **".(كوبلستون،2010م،ص 551)** (*)

يمكن أن نلمح مما سبق نوعًا من النزعة الميتافيزيقية متداخلاً مع المذهب الواقعى، وأشهر من تناول تلك الرؤية "ألفرد نورث هوايتهد(1861م ـــ 1947م).Whitehead,A.N " (**) فهو يؤمن بالآتى:

(****) تعد فكرة العلية Causality عند هيوم أحد شروط التجريبية عنده، فجميع أفكارنا ليست سوى نسخ من انطباعاتنا أو بتعبير آخر من الممتنع أن نفكر فى أى شىء لم يسبق لنا أن أحسسناه بحواسنا الخارجية أو الباطنية. وبتطبيق ذلك على العلية فإننا نلحظ أن علاقة الجوار فى المكان والتعاقب فى الزمان هى التى جعلت الأفراد يعتقدون فى وجود علاقة ضرورية بين مجموعة معينة من النتائج ومجموعة أخرى من الأسباب، على سبيل المثال: علاقة الدخان بالنار ، كذلك عند دفع كرة البلياردو الأولى تصحبها حركة الكرة الثانية، ذاك كل ما يظهر للحواس الخارجية ، ولا يشعر الذهن بأى شعور ولا بأى انطباع باطن عن تتالى الأشياء، مما يوحى بفكرة العلية مباشرة، وإنما على الذهن أن يمر بتجارب وأحداث عديدة حتى يتيقن من عملية الربط بين السبب والنتيجة، وهذا ما يؤدى فى النهاية إلى ظهور أو وجود فكرة العلية.
ــ (انظر؛ هيوم، 2008م، ص ص 91-98).

(*)وهذه الصورة الحديثة للمذهب الواقعى هى ما انعكست على "واقعية ـكورنيل" و"رايلتون" وهذا ما سنوضحه لاحقًا .

(**) هوايتهد : فيلسوف أمريكى من أصل انجليزى ، من أتباع الواقعية المحدثة ، دَرّس الرياضيات التطبيقية والميكانيكا فى جامعة لندن بالإضافة إلى الهندسة فى يونيفرستى كوليج وإمبريال كوليج . وقد وجد نشاط هوايتهد العلمى الخالص أرقى أشكال تعبيره فى "مبادىء الرياضيات" الذى كتبه بالتعاون مع "برتراند رسل"، والذى يُعد قمة من قمم العطاء الفكرى فى

1. وجود العالم الخارجى وجودًا مستقلاً منفصلاً عن وجود الذات التى تدركه.
2. إن معرفتنا بوجود الموضوعات الخارجية ، يحدث عن طريق إدراكنا إياها بالتجربة الحسية. فالتجربة الحسية تساعدنا على إدراك الواقع ومعرفته ، أما التأمل العقلى فيساعدنا على فهم هذا الواقع . لكن ما طبيعة هذا الواقع الخارجى؟ **(اسلام،1980م،ص ص 203-204).**

يُعرف هوايتهد الطبيعة بأنها " ما نلاحظه فى الإدراك من خلال الحواس. ففى الإدراك الحسى نكون على وعى بوجود شىء لا يكون فكرًا، ويكون هو نفسه موضوعًا للفكر. وهذا يعنى أن الطبيعة يمكن التفكير فيها بوصفها نسقًا مغلقًاClosed System توجد بين أجزائه علاقات متبادلة، لا تحتاج فى وجودها منا أن نُعبر عن تفكيرنا فيها. وهكذا تكون الطبيعة ـــ بمعنى ما ـــ منفصلة ومستقلة عن الفكر. وأنا لا أقول بذلك قولاً ميتافيزيقيا ، بقدر ما أعنى أننا نستطيع التفكير فى الطبيعة ، بدون أن نفكر فى الفكر نفسه". **(اسلام،1980م، ص 204).**

وعلى أى حال فإن الازدواجية التى ينتهجها هوايتهد ـــ ازدواجية التجربة الحسية والتأمل العقلى ـــ أثبتت أن الكيانات الثابتة أو الموضوعات الأبدية، موجودة على نحو أو آخر فى الكيانات الفعلية، على النحو الذى يوجد به مثلاً ما هو صورى فيما هو فعلى، أو المثالى فى الواقعى، المجرد فى المتعين، أو الثابت فى المتغير، كما يتمثل الوجود فى الصيرورة .**(اسلام،1980م،ص 224).**

*** ولعل المناقشات السابقة حول الواقعية توضح الآتى :

1. كيفية التداخل والتفاعل بين عالمين مختلفين عن بعضهما البعض ، وهذا ما يدفعنا لاستنتاج أن ذلك ينسحب على مجال " الأخلاق " و" القيم " ، حيث نستطيع من خلال ما سبق تفسير كيف أن الحقائق الأخلاقية والقيمية لا توجد بشكل مستقل عن معتقدات الأفراد واتجاهاتهم ، وتفسير مدى صدق وكذب هذه الحقائق.
2. تعد الحقائق القيمية والأخلاقية ـــ مثل قيمة الخير فى حد ذاته ـــ غير موجودة داخل حيز "الزمكان" ، وإنما ما يوجد منها هو أثرها فقط . فعندما نقول القضية التالية : " من الواجب أداء الدَيْن الذى عليك إلى الدائن ، لأن هذا خير ،" فإننا لا نستطيع التماس الخير فى حد ذاته ، وإنما نستدل عليه من نتيجة الفعل. وهذا ما يتشابه مع ما ذكرنا فى قضية الأعداد: (2=1+1) بالرغم من واقعية هذه القضية ، إلا أنها غير خاضعة لحيز "الزمكان" وإنما الخاضع لهما هو العلاقة بينهما فقط.
3. يظهر مما سبق نوع جديد من الواقعية غير خاضع لفهم مادى تلقائى للعالم ، وإنما هناك اتصال مع ما هو وراء الطبيعة . يمكن التحرى عنه بالبرهان أو الاستدلال العقلى. هذا على النقيض من الواقعية التى يمكن التحرى عنها من خلال ما هو ملموس ومحسوس ـ سيحاول الباحث توضيح ذلك من خلال بيان الاختلاف فيما بينهما فيما يلى :

هذا العصر. ـــ من أهم أعماله: مبادىء المعرفة الطبيعية" ،و "مفهوم الطبيعة" ، و"العلم والعالم الحديث"، و" الصيرورة والواقع".
ـــ (انظر؛ طرابيشى،2006م ، ص ص 731 ـــ 732).

(ب) النزاع بين "الواقعية Realism" و"ضد ـــ الواقعيةAnti-Realism":

يعد النزاع بين "الواقعية" و"ضد ــ الواقعية" قريبًا نوعًا ما من النزاع الفلسفى السابق بين مركزية الأرض ومركزية الشمس. فقديمًا كان الاعتقاد الراسخ بدوران الشمس حول الأرض نتيجة لرؤية الفرد الساذجة لشروق الشمس وغروبها. حتى جاء"كوبرنيقوس(1473م ــ1543م)Copernicus,N" بثورته الكوبرنقية،وأثبت خطأ الاعتقاد السابق، واعتمد على المنهج العلمى، وقال بدوران الأرض حول الشمس.

من هذا المنطلق يجب ألا نعول على هذه المبادىء الساذجة والتى ثبت خطأها بالرجوع إلى المنهج العلمي المنظم. فمن هذه المبادىء الساذجة ــ على سبيل المثال ــ الاعتقاد بأن النار هى مصدر الدفء، والماء مصدر البرودة، ولكن الروح هى التى تبعث الدفء... وهكذا، ففى مثل هذه الأمور ينبغى التفكير بطريقة علمية صحيحة، ولا ننساق وراء الأفكار والرؤى البسيطة الساذجة**(Berkeley,1996,P.45.)**

بمعنى آخر هناك فرق بين "النار كشىء واقعى"، و"النار كفكرة موجودة داخل العقل" ، أى أن هناك اختلافًا بين الذات التى تحرق وبين ما يوجد فعلاً، فالأشياء البعيدة عنا والتى قد لا توجد فى حيز "الزمكان" أى لا نستطيع رؤيتها من خلال البصر؛ لا نستطيع فهمها إلا بالاعتماد على العقل. **(Berkeley,1996, Pp.40-41.)**

وهذا ما يصدق على قضيتى القيم والأخلاق ؛ فعند إصدار حكمنا على فعل ما بأنه أخلاقى أو غير أخلاقى ، فإننا نتساءل: هل هذا الحكم حكم واقعى ملموس يمكن رؤيته بعين البصر، أم أنه مجرد صورة ذهنية مفارقة لما هو موجود فى هذا الواقع الملموس؟. بناءً على ذلك ظهر النزاع بين "الواقعية" و"ضد ــ الواقعية" وهذا ما نحاول توضيحه .

(1) مبررات " ضد ـ الواقعية ":

تؤمن "ضد ـــ الواقعية" بأن الحقائق الوحيدة هى الحقائق الطبيعية ذات الوجود "الزمانى ـــ المكانى"فقط؛ والتى نستطيع فهمها بشكل علمى (عن طريق الطبيعة المنهجية). فعلى حد قول "آلان جيبارد(1942م ــ)Allan Gibbard "(*) : **"إنه مع كل حقبة تمر علينا، فإننا نحصل على المزيد من المؤشرات التى تثبت أن الطبيعة هى الطريقة التى يجب تعلمها كى نفهم أنفسنا".** **(Gibbard,2012,P.24.)**

كما يمكن تسمية هذا النوع من الطبيعة بالطبيعة الميتافيزيقية ؛ حيث إنه قبل أن يتدخل العلم لإثبات وجودها كانت بمثابة شىء ميتافيزيقى. فبعد تدخل العلم انتقلت وتحولت فى إطار المعرفة إلى شىء طبيعى داخل حيز "الزمكان". وهذا على النقيض من الأشياء غير الخاضعة لحيز الزمكان. تلك الأشياء التى سنشير إليها بعد ذلك" بالأفلاطونية الميتافيزيقيةMetaphysical Platonism" التى تهتم بالصور المفارقة للعالم الحسى ، وكيفية الارتباط بينهما.(**)

(*) جيبارد: أستاذ الفلسفة بجامعة ميتشجان، له عديد من الاسهامات الهامة فى النظرية الأخلاقية المعاصرة وخاصة فى مجال"ما وراء الأخلاق Metaethaics" حيث عمل على تطوير المعرفة اللاإدراكية Non-Cognitivism . أهم مؤلفاته:

- المعنى والمعيارية Meaning and Normativity (2012م)
- التفكير فى كيف نعيش Thinking How to live (2003م)

تاريخ الدخول:28/7/2018م **(Cp; http://www-personal.umich.edu/~gibbard/)-**

(**) يرى الباحث أن المصطلحات الآتية يمكن أن تكون مترادفة فى سياق البحث :

- "ضد ـ الواقعية"="الطبيعة الميتافيزيقية"="الواقعية الميتافيزيقية"= "الحقائق الطبيعية"="الاهتمام بما داخل الزمكان."

ـأما النوع الأول المتعلق بالحقائق الطبيعية الميتافيزيقية أو "ضد ـــ الواقعية "؛ فتكمن طبيعته فى إنكار كافة الصور الأفلاطونية المفارقة، وأن تلك الأشياء الموجودة فى عالمنا تعد جزءًا من الطبيعة، ولها سبب طبيعى لوجودها يجب تفسيره بطريقة علمية صحيحة، وخير دليل على ذلك فكرة دوران الأرض حول الشمس، والتى تُفسر دائمًا بطريقة علمية . **(Carrier,2005,P.67)**

أما عن الأشياء الخارقة التى لا تتسق مع الظواهر الطبيعية فتعد ذات طابع إشكالى، ولا تندرج تحت هذا النوع**(. Gibbard,2012,P.24.)**

وإذا أردنا توضيح الفكرة السابقة ؛ فلننظر إلى نقيضها ، أى إلى الأشياء والموضوعات المفارقة وخير دليل على ذلك العلاقات والعوامل الرياضية ؛ حيث تعد تلك الأشياء بمثابة أشياء حقيقية ، فعندما نقول:(2+2=4) ، فإننا نفترض بذلك أن (2)و(+)و(=) أشياء رياضية لها وجود فعلى، لا يتطرق الشك إليها، وأن القضايا الرياضية التى قمنا بصياغتها صادقة، ولكن من المعلوم والواضح أن الأعداد ليست بالشىء الحقيقى الذى يمكننا الوصول اليه ولمسه بأيدينا، ولهذا قد نقول أن الأعداد تكون حقيقية ولكن ليس بالمعنى الطبيعى، ولكنها حقيقية بالمعنى غير الطبيعى ، وهذه هى الأفلاطونية الميتافيزيقية. لذلك لا يمكن أن تشترك الرياضيات فى إحداث آثار مادية**(. Field, 2001,P.329.)** (***) والسبب فى عدم اشتراكها فى إحداث آثار مادية هو أنه لا يوجد طريقة تفسر كيف يمكن لشىء غير طبيعى أن يؤثر فى شىء آخر طبيعى، وبالتالى لا يوجد طريقة تفسر كيف يمكن للأشياء الرياضية أن تؤثر فى البشر، ومن ثم فلا حاجة لتفسير وجود الرياضيات حتى نستطيع تبرير العلاقات المنطقية بين المقدمات الرياضية ونتائجها بشكل موضوعى ، وإنما هى عبارة عن بديهيات أو مسلمات أساسية. **(Field, 2001,P.320.)**

ومن ثم لا تعد القضايا الرياضية صادقة بمجرد الإشارة إلى الأشياء الرياضية، وإنما لكونها " نتيجة مترتبة على بديهيات مقبولة لا يمكن تطرق الشك إليها**(. Field, 2001,P.317 .")**

وعلى أى حال يؤمن أتباع "ضد ــ الواقعية" بأن الطبيعة بمثابة استدلال للوصول إلى أفضل تفسير، حيث إنه إذا افترضنا أن ما يوجد فى الكون طبيعى، فلا حاجة إذن لطرح المزيد من التساؤلات غير الضرورية؛ على سبيل طرح كيفية الارتباط بين الحيز " الزمكانى " بأشياء غير خاضعة لهذا الحيز، على الرغم من وجود بعض القلق الذى قد ينتابنا بشأن معرفتنا لهذه الأشياء، وكذلك التفاعل معها. فالأشياء الطبيعية غير مثيرة للجدل نسبيًا، بينما معرفتنا بالأشياء التى ليس لها حيز "زمكانى" ذات طابع إشكالى .

(2) مبررات "الواقعية":

وهذا النوع من الواقعية هو ما أطلقنا عليه سابقًا "الأفلاطونية الميتافيزيقية"، وهو على النقيض من السابق، حيث يؤمن بعض الواقعيين وبخاصة أتباع الواقعية الأخلاقية بوجود: حقائق "غير زمكانية"

- "الواقعية" = "الأفلاطونية الميتافيزيقية"= "الحقائق غير الطبيعية"= "الاهتمام بما يوجد خارج حيز الزمكان بالإضافة إلى ما يوجد داخل هذا الحيز".

(***)وما ينسحب على " الرياضيات والأعداد " ينسحب كذلك على " الأخلاق " لتشابهما من خلال طبيعتهما ، فأحكامهما توجدا فى الواقع ، ولكنهما غير موجودين بالفعل ، وانما موجودان بالقوة ـــ على حد تعبير أرسطو ـــ **(الباحث).**

بالإضافة إلى إيمانهم "بالحقائق الطبيعية" كما فى النوع الأول. كما يمكن أن نطلق على هذا النوع بالإضافة إلى الأفلاطونية الميتافيزيقة (الحقائق غير الطبيعية).

وقبل الخوض فى ذلك نلقى الضوء على بعض التعريفات الخاصة بالواقعية، لا سيما الواقعية الأخلاقية للوقوف على أبرز سماتها والتى يتضح من خلالها الاختلاف عن " ضد ـــ الواقعية:"

1. يرى " برنك (1958م ـــ)Brink,D " (*) أن الواقعية الأخلاقية تفترض وجود حقائق أخلاقية موضوعية مستقلة بشكل ما**(. Brink,1989,P.14.)**
2. يذكر " روس شافر ـــ لاندو (1963م ـــ)Russ Shafer-Landau "(**) أن الواقعية الأخلاقية تتمثل فى الأحكام التى تتمتع بنوع خاص من الموضوعية ، وهذه الأحكام عندما تثبت صدقها، تكون مستقلة عما يعتقده عنها أى انسان فى أى مكان أو أى ظروف. **(Landau,2005,P.2.)**
3. يذكر " تيمونس (1951م ـــ)Mark Timmons (***) بأن الواقعيين الأخلاقيين يؤمنون بوجود حقائق وسمات أخلاقية مستقلة عن الاتجاهات الإنسانية ، وكذلك المواضعات والأعرافConventions وما شابه ذلك.**(Timmons,2001,P.106.)**

يتضح من هذه التعريفات السابقة إجماعها حول سمات الحقائق والوقائع الأخلاقية التى تعد سمات موضوعية ومستقلة عن العقل، وقد تكون خارج حيز "الزمكان" ـ ويعد هذا فارقًا مميزًا بين "الواقعية " و "ضد ـ الواقعية" ـ .

لذلك يعد الوصف السابق للواقعية ذا فائدة كبرى لا سيما تفسيرها فى ضوء **"الاستقلال عن العقل Mind-Independence "** (****) **(Timmons,1999,P.35.)**

(*) برينك : أستاذ الفلسفة بجامعة كاليفورنيا بساندييجو ، ومدير معهد القانون والفلسفة كلية الحقوق بساندييجو. تنصب أعماله فى مجال الأخلاق على القضايا الأساسية حول الموضوعية ، والمعيارية بالإضافة إلى المطالب الأخلاقية كالحقوق والعدالة والمسأواة .... الخ. ومن أبرز مؤلفاته: الواقعية الأخلاقية وأسس الأخلاق (1989م).
تاريخ الدخول 28/7/2018م**(CP.http://davidobrink.com)) -**

(**)لاندو: أستاذ الفلسفة بجامعة ويسكونسن ماديسون، انصب اهتمامه العلمى على دراسة فلسفة الأخلاق وخاصة الأخلاق ـــ البعدية والتى تتعلق بالتساؤلات حول وضع أو حالةStatus الأخلاق ، وليس محتواها أو مضمونها Content على سبيل المثال: هل تنشأ الأخلاق بواسطة الوجود الإنسانى؟ أو هل هى بطريقة ما موضوعية ؟، كيف نكتسب المعرفة الأخلاقية ؟ ـــــــ كيف يمكن أن توجد القيم الأخلاقية فى العالم المحكوم بقوانين علمية ؟ ومن أهم مؤلفاته : أسس الأخلاق (2015م).

تاريخ الدخول 28/7/2018 م **(CP;https://sites.google.com/site/shaferlandau/home) -**

(***) تيمونس : أستاذ الفلسفة بجامعة أريزونا ، له العديد من الإسهامات فى مجال الأخلاق ، وخاصة فى مجال ما وراء الأخلاق والأخلاق عند كانط. من أهم مؤلفاته : " الفينومينولوجيا الخلقية والنظرية الخلقية Moral Phenomenology and Moral Theory " (2005م) ـــ " ما الذى تود أن تخبرنا عنه الفينومينولوجيا الخلقية بشأن الموضوعية الخلقية؟ What Can Moral Phenomenology Tell Us about Moral Objectivity?""(2008م) ـــ "الفينومنيولوجيا والسلطة الخلقية "(2018 م).

تاريخ الدخول 28/7/2018م **(Cp; https://timmons.faculty.arizona.edu/) -**

(****) يرى الباحث أن استخدام مصطلح "الاستقلال عن العقل" قد جانبه الصواب ، حيث يوحى بأن الأشياء الخارجية قد توجد فى "عالم بلا أذهان" وهذا ما قد يُعرض الواقعى إلى الوقوع فى خطر التناقض ، فلا يستطيع تفسير الوجود الموضوعى، اذ كيف يكون موضوعيًا،وفى الوقت نفسه يوجد فى عالم بلا أذهان؟!. لذا نرى ضرورة استبدال مصطلح

لذلك يرى الواقعيون أن التقدم الحقيقى للعلم يتم قياسه بواسطة المدى الذى تستطيع من خلاله نظريتنا التعبير عن واقع ما تختلف طبيعته عن طبيعتنا، أو عن المعايير التى تثرى تصوراتنا عن الخطاب المنطقى. ومن ثم أضحى مفهوم الواقعيين للحقائق الأخلاقية هو ذلك المفهوم الذى تكون فيه هذه الحقائق "قبلية ومستقلة"، أو تعبر عن "واقع تختلف طبيعته عن طبيعتنا". إذن يتضح وجود الفجوة بين الصدق الحرفى للخطاب الأخلاقى والذى تؤمن به "ضد ـــــ الواقعية"، وميتافزيقية الخطاب. فالمضاد ـــ للواقعية يؤمن بأن الحقائق الأخلاقية تفتقر إلى الاستقلال الميتافيزيقى، لأنها تؤمن بالتجسيد الواقعى بعكس كلٍ من: واقعية العالم الخارجى وواقعية الكيانات النظرية للعلم الطبيعى وأفلاطونية الأشياء الرياضية. فجميعها يشترك فى مكون رئيس وهو فكرة أن الكيانات والسمات المفترضة لها الأسبقية والاستقلال عن أى شرط أو خبرة ترتبط بالأشخاص وهى بهذا الشكل تعد غير ـــ ذاتية بشكل جذرى . **(Railton,1995,P.263)**

بناءً على ذلك تختلف "الواقعية الأخلاقية" عن "ضد ـــ الواقعية" باستقلالها عن العقل، ذلك الاستقلال الذى يميزها ويجعلها تحظى بقدر عظيم من المعقولية، لأنها تعد موقف "أخلاقى ــ بعدى Meta-Ethical" (*) واضحٌ تمامًا للعيان ويمكن إدراكه من خلال خبرتنا وتجاربنا البديهيه، واستدلالاتنا العقلية والمنطقية، لأنها تبدو واضحة لنا تمامًا كوجود العالم الخارجى أى كشروق وغروب الشمس مثلاً**(. Carrier,2007,P.11)**

فالبشر يتسمون بعقلانيتهم، وهذا يفسر كيف أصبحنا قادرين على الاستدلال بشكل صحيح بل والاستجابة للبراهين أيضًا**(. Parfit,2011,P.444)** (**)

فالعقلانية تمكننا من معرفة العلاقة الرياضية ـــ على سبيل المثال ـــ (2+2=4) قضية صادقة، وكذلك القضايا الأخلاقية، فعند قولنا إن "القتل سيء أخلاقيًا" فإننا نصبح على يقين من صدق هذه المقولة

"الاستقلال عن العقل" عما "ننسبه نحن" ، حيث تكون الحالات العقلية موضوعية بمعنى أنها توجد فى الأشياء بشكل مستقل عن ما ننسبه نحن إليها سواء بالفكر أو باللغة. فللشيء سماته الخاصه به والفرد هو المنوط باكتشافها، وفكرة الأعداد تؤكد ذلك، حيث إنها بمثابة صور نطلقها على أشياء خارجية من أجل التبسيط ، فمثلا إذا قلنا العدد (1) فنحن نطلقه على شيء سمته المفرد وليس الجمع ، بمعنى آخر ما هو إلا صورة لهذا الشيء المفرد.

(*)الأخلاق ـــ البعدية : هذا اللفظ من ابتداع " ليفى بريل (1857م ـــ 1939م)levy Bruhl " للدلالة على ما هو مفارق للأخلاق الوضعية ، وعلى جزء من علم الأخلاق يُعنى بالمبادىء الأخلاقية التى تتجاوز الأفعال الأخلاقية الوضعية. بصفة عامة هى صفة لأسس الأخلاق ومبادئها التى تسمو على الواقع ، وهى مقابلة لقواعد الأخلاق العملية المطبقة فى الأفعال المحمودة والمشروعة. ويعنى به كذلك أية نظرية تحاول تعريف أو وصف الأسلوب أو الأساليب التى نستخدم بها الأحكام الخلقية بالفعل Actual ، وذلك عن طريق وصف وظيفة المحمولات الأخلاقية ، أو ـــ بمعنى أوسع ـــ من خلال وصف وظيفة الأحكام الخلقية فى الجدل الانسانى . لذلك توصف بأنها " حيادية " نوعًا ما.
(Cp;Edward,1955,P.45)-،(-(انظر؛وهبه،2007م، 551)،(انظر كذلك؛ صليبا ، 1982م، ص 299

(**) تتوقف صحة الاستدلال على مدى استقلالية معتقدات الفرد المفكر ، فنحن لدينا القدرة على صياغة معتقدات صادقة عن العالم من حولنا، عن مجالات المنطق والرياضيات ، وعن الصواب الذى ينبغى فعله ونحن نفترض وجود عالم واقعى، وأن هناك العديد من الأسئلة سواء الواقعية أو العملية لها إجابات صحيحة ، وأن هناك معايير للفكر إذا تم اتباعها سوف توصلنا إلى الإجابات الصحيحة عن هذه الأسئلة. نحن نفترض أن اتباع هذه المعايير معناه الاستجابة بشكل صحيح للقيم أو البراهين التى ندركها، ولعل الرياضيات، والعلم، والأخلاق قد بُنيت على هذه المعايير.
-(CP; Thomas Nagel,2012,P71).

وإن كان ذلك بشكل غير مدرك حسيًا. وفى هذا الصدد يقول"ديريك بارفيت (1942م ــ2017م) Derek Parfit "(*) : **"حتى إذا لم نستطع تفسير كيفية اكتسابنا هذه القدرة (أى العقلانية)، إلا أننا نعتقد بشكل كبير أننا ندرك بالفعل هذه الحقائق الضرورية وأنها صادقة."(Parfit,2011,P.250)**

ومن هذا المنطلق يمكننا تفسير كيف أن (2+2=4) تعد صادقة موضوعيًا من خلال البرهان العقلى. ويمكننا بالقياس نفسه التأكد من مدى صدق القضايا الأخلاقية. هذا بالرغم من أن القضايا الرياضية والأخلاقية متشابهان فى أنهما قضايا غير موجودة فى حيز "الزمكان" إلا أنهما يتداخلان مع هذا الحيز ، ويمكن إثبات ذلك بالبراهين العقلية.

لذا يتوقف صدق القضايا الرياضية والأخلاقية على صدق البديهيات(**) ، والمقدمات الرئيسة التي أُشتقت منها ، وبهذا المنطق ليس هناك أى صعوبة في كيفية إدراك مدى صدق القضايا غير الخاضعة لحيز " الزمكان " وتداخلها مع ذلك الحيز. .**(Field, 2001,P.329.)**

***يتضح مما سبق الفارق النوعى بين "الواقعية" و "ضد ـــ الواقعية" ، فهناك من يتخذ الطبيعة الملموسة أساسًا له، وهناك من يضيف إلى ذلك تلك الأشياء غير الخاضعة لحيز "الزمكان". ولكن إشكالية هذا النوع الثانى هى كيفية حدوث الارتباط بين عالمين مختلفين: عالم طبيعى وآخر غير طبيعى. وإذا حدث هذا الترابط والارتباط بين عالمين، يتبين للمرء العادى للوهلة الأولى مدى اختلافهما عن بعضهما البعض، فهل بذلك نكون قد استطعنا حل جميع إشكاليات التفسيرات الأخلاقية مثل: طبيعتها وماهيتها ... الخ ؟ .لا أظن ذلك حيث هناك من يرفض الترابط بينهما ، ولعل فكرة " المغالطة الطبيعة Naturalistic Fallacy " بمثابة ترسيخ لهذه الإشكالية .

(جـ) رؤية الواقعية " للمغالطة الطبيعية Naturalistic Fallacy ":

كما أشرنا سابقًا بأن المغالطة الطبيعية نتيجة لإشكالية كيفية التداخل بين عالمين مختلفين ، فيعد "جورج إدوارد مور (1873م ــ 1958م)Moore,G.E " ـ على سبيل المثال ـ واحدًا ممن اهتموا بها. حيث عمل على رفض وجود الحقائق الأخلاقية الموضوعية ، لأنه ـ وفقًا لمور ـ ليس من الممكن أن توضع الحقائق الأخلاقية داخل إطار طبيعى. وبناءً على ذلك رفض "مور" الطبيعية الأخلاقية، ورأى أن البشر لديهم قدرات بديهية خاصة تمكنهم من اكتشاف هذه الظواهر الأخلاقية الفريدة.(***)

(*))بارفيت : فيلسوف بريطانى متخصص فى مشاكل الهوية ، الشخصية ، العقلانية ، الأخلاق وخاصة الأخلاق المعيارية، وما بعد الأخلاق. من أهم مؤلفاته: "الأسباب والأشخاصReasons and Persons (1984م) " .
تاريخ الدخول2018/7/28 **-(Cp; https://www.britannica.com/biography/Derek-Parfit)**

(**) يختلف الباحث مع الاتجاه القائل بأن صدق القضايا الأخلاقية متوقف على صدق البديهات مثل الرياضيات، ويتفق مع رأى "روبرت نوزيك (1938م ــ 2002م) Robert Nozick " ومفاداه أن هذا ليس صوابًا على الدوام حيث قال:"أليس من الممكن أن تخضع بديهياتنا بشكل كبير للتشكيل وللتغيير بواسطة الظروف المجتمعية والثقافية الصعبة؟ وإذا كان الامر كذلك ، ألن تكون المبادىء الأخلاقية الناتجة مبررة على أساس كون البديهيات مشروطة ومتغيرة مثل العوامل الاجتماعية التى تُنتج هذه البديهيات؟"**.(Cp; Robert Nozick, 2001, P.237)-**

(***) يمكن أن نلمح الصورة الحديثة للواقعية الأخلاقية بمغالطتها الطبيعية ــ تبعًا لمفهوم مورــ فى مذهب " المنفعة " لـ "جون ستيورت مل"، فلقد عمل "مل" على إيجاد رؤية طبيعية للأخلاق، وخاصة عن طريق تعريف الخير الأخلاقى عبر وقائع تجريبية ـــ من خلال ربط الخير باللذة الملموسة التى تعود على الفرد ــ فقد جعل الخير هو ما يرغب فيه الناس، ولهذا يتم تعريفه من خلال وقائع طبيعية. وبالتالى تصبح الأحكام الأخلاقية تبعًا لهذا المذهب أحكامًا واقعية، يمكن تحرى صدقها أو كذبها من خلال البحث التجريبى ، وهذا ما يرفضه " مور . **"(الباحث)**

(1) ماهية المغالطة الطبيعية:

يمكن تحديد المقصود بالمغالطة الطبيعية ــ بصفة عامة ـــ من خلال إمكانية تعريف خاصية "الخير" بخصيصة من الخصائص الداخلة فى نطاق الطبيعة ، كالقول مثلاً: إن الخير يعبر عما هو سار Pleasant أو ما هو مرغوب فيه Desired . فالقول إن أيًا من هاتين الصفتين تُعرف الخير يشير إلى الوقوع فى هذه المغالطة ، ذلك أن هاتين الصفتين موجودتان فى "الزمكان"، ومن ثم فإنها داخلة فى نطاق الطبيعة، فى حين أن الخير غير الطبيعى لا يندرج تحت فئة الموضوعات أو الصفات التى تدخل ضمن موضوع دراسة العلوم الطبيعية أو التجريبية، ومن ثم فإن كل من يقول:إن الخير هو اللذة أو السرور، فإنما يعرف الخير بلغة الموضوع الطبيعى. **(ابراهيم ، 1986م،211).**

وهذا ما اعترض عليه "مور" لأنه كان مؤمنًا بصعوبة تفسير ما هو غير طبيعى بما هو طبيعى، واتخذ من "التحليل" منهجًا أصيلاً لفلسفته الأخلاقية. ذلك المنهج الذى عانى علم الأخلاق من تجاهله فى مما أدى بفلاسفة الأخلاق إلى الاختلاف حول أبسط الأمور الأخلاقية**(Olthuis,1969,P.664 .).**

ولعل سؤال: " ما الخير ؟ " يؤكد ذلك.

فوفقًا لـ "مور :""**إن السؤال الخاص بكيفية تعريف كلمة (خير) يعد السؤال الأساسى فى الأخلاق، حيث إن المقصود بهذه الكلمة ــ باستثناء نقيضها "شر" ـــ هو موضوع الفكر المميز الوحيد الخاص بالأخلاق ، لهذا فإن تعريفها يعد أهم شىء فى تعريف الأخلاق ".(Moore,1903,P.5).**

من هنا أضحى التأكيد على معنى كلمة " خير " بمثابة اللبنة الأساسية فى فلسفة "مور" الأخلاقية، ولقد رأى أن هذه الكلمة غير قابلة للتعريف ، فكلمة " خير " تشير إلى مفهوم بسيط غير قابل للتحليل؛ وبالتالى فنحن لا نستطيع فهم طبيعة الخيرية لكل من لم يفهم معناها . ويقول "مور" عن ذلك:

" إن مقصدى هو أن كلمة "خير" تعبر عن فكرة بسيطة مثل كلمة (أصفر). فكما أنك لا تستطيع تفسير كلمة (أصفر) لمن لا يعرفه، كذلك لا تستطيع تفسير كلمة "خير" لمن لا يعرفه". .(Moore,1903,P.7)

ومن هنا استنتج "مور" أن الإشكالية الكبرى فى الفلسفة الخلقية هى أن الأفراد لم يكن لديهم استعداد لتقبل مفهوم "الخير" كما هو، أى المفهوم بالمعنى البسيط غير القابل للتحلي ، بل تناولوه على أنه مجرد فكرة معقدة ، وحاول وا إجراء تحليل لها ، ولعل الدخول فى مثل هذه المحاولة معناه سوء فهم لطبيعة " الخيرية " ، ومن ثم الوقوع فى مغالطة طبيعية ويقول عن ذلك: **" لقد اعتقد العديد من الفلاسفة التجريبيين أنه بذكر تلك السمات الآخرى ، فإنهم بذلك يعرفون "الخير" ، وأن تلك السمات وليس غيرها يتطابق مع معنى " الخيرية " ، وأنا أقترح أن نطلق على هذه الرؤية مسمى " المغالطة الطبيعية ".(Moore,1903,P.10).**

واستطرد "مور" فى توضيح سبب تلك المغالطة؛ بأننا نخلط بين "يكونIs " الخاصة "بالحمل Prediction" وبين "يكون Is" الخاصة "بالكينونة أو الهوية Identity" وأكد على ذلك فى المثال التالى: **"إذا تخيلت عندما أقول (أنا مسرور I am Pleased) أننى أعنى الشىء نفسه بقولى (حالى هو السرور Pleased)؛ فلا ينبغى أن أطلق على هذا مغالطة طبيعية".(Moore,1903,P.13).**

والسبب فى ذلك جلى ـــ فما يجعلنا لا نطلق عليه مغالطة طبيعية ـــ أننا نخلط بين أمرين وهما: (الشخص المذكور والسرور) وكلاهما جزء من العالم الطبيعى. وهذا على النقيض من "الخير" غير المتطابق مع العالم الطبيعى، فإذا تم تطابقه مع العالم الطبيعى سُميّ "بالمغالطة الطبيعية"، مما يُعد خلطًا بين مجال مميز وفريد تمامًا مع جانب ما من العالم الطبيعى. ويقول "مور" عن ما يتركب هذه المغالطة :

"إذا قام هذا الفرد بخلط "خير" ـــ والذى لا يحمل معنى الشىء نفسه الطبيعى ـــ بأى شىء طبيعى أيًا كان ، إذن فإن هناك مبررًا لتسمية ذلك "بالمغالطة الطبيعية" ولعل الوقوع فى هذه المغالطة فيما يتعلق بالخير يجعله شيئًا مميزًا، ونظرًا لانتشار هذه المغالطة، فلا بد من تسميتها باسم خاص". (Moore,1903,P.13).

وبعد أن قدم "مور" رؤيته للمغالطة الطبيعية من خلال ترادف ما هو أخلاقى بما هو طبيعى، حيث إن الأخلاق أو الخير لا يمكن تعريفه ، انتقل بعد ذلك لإثبات ذلك من خلال حجة السؤال المفتوح والتى استخدم فيها " استراتجية المعضلة الثلاثيةTrilemma Strategy "، حيث رأى أن (الخير) إما أن يكون غير قابل للتعريف أو مركبًا أو أنه ليس له معنى على الإطلاق.

(2) حجة السؤال المفتوح لإثبات تفرد قيمة " الخير " عند " مور ":

تدور حجة السؤال المفتوحThe Open Question Argument عند " مور" حول أنه إذا لم تدل الخاصية " خير " على مفهوم بسيط ، وغير قابل للتعريف ؛ فليس أمامنا سوى بديلين اثنين فقط: إن هذا المفهوم مفهوم مركب ، أو أنه ليس له معنى على الاطلاق.

<u>أما عن البديل الأول:</u> فلقد استبعد احتمالية أنه مركب من خلال التطرق إلى ما قد يؤدى إليه الاختلاف حول معنى " الخير " ، ويقول " مور " فى ذلك :**" إن مجرد عدم الاتفاق حول معنى " الخير" هو عدم اتفاق فيما يتعلق بالتحليل الصحيح لكل ما قد يبدو غير صحيح. من خلال النظر إلى حقيقة أنه بغض النظر عن التعريف الذى يُقدم دائمًا ، سيكون هناك سؤال عما إذا كان ذلك الشىء المركب الذى تم تعريفه خيرًا فى حد ذاته أم لا؟". (Moore,1903,P.15).**

يوضح النص السابق أن فى تعريف "الخير" بما نرغب فيه ، هل هو فى حد ذاته خير؟. يقول دعنا نفترض أن "أ ــ خير" أو أنه أحد الأشياء التى نرغب فيها . يرى "مور" أن السؤال : هل من الخير أن نرغب فى "أ"؟ يكافىء السؤال "هل أ ــ خير؟" ثم إنه لا يمكن ان نحلل هذا السؤال الأول إلى "هل الرغبة فى أن ترغب فى "أ" هى أحد الأمور التى نرغب فى أن نرغب فيها. لا يمكن أن يوجد فى عقولنا هذا المعنى المركب للخير، أم أن كلا منا يمكن أن يقنع نفسه بالحدس أو بالبصيرة أو الاستبصار المباشر، بأننا نستطيع التعرف على الخير، مما يثبت أنه غير مركب .**(ابراهيم ، 1986م،211).** لذلك يتم استبعاد البديل الأول.

<u>أما البديل الثانى:</u> فلقد استبعد احتمالية أن "الخير" ليس له معنى ، حيث أوضح ما الذى يجعلنا نتساءل عما إذا كانت حالة طبيعية ما هى خير فعلاً أم لا ؟ ويقول مور :

"إن من يفكر فيما يدور فى ذهنه عندما يطرح تساؤلاً (هل يعد السرور ـــ أو أيًا كان ـــ خيرًا فى النهاية أم لا ؟) يستطيع أن يقنع نفسه بأنه لا يتساءل عما إذا كان السرور سارًا. وإذا حاول القيام بهذه التجربة مع كل تعريف مقترح ، فقد يصبح خبيرًا بما يكفى ليدرك أن كل حالة تمر فى داخل ذهنه تعد شيئًا فريدًا ، وذلك فى ضوء ارتباط ذلك الشىء بأى شىء آخر ،

وهنا قد يُطرح سؤال ما. يفهم المرء فى الحقيقة سؤال (هل هذا خير ؟) عندما يفكر فى هذا السؤال ، فإن ما يدور فى ذهنه قد يختلف عما إذا كان يسأل (هل هذا سار ، أو مرغوب فيه ، أو مقبول؟) فالمعنى مختلف ومميز بالنسبة له ، حتى لو لم يدرك وجه التميز والاختلاف ". **(Moore,1903,Pp.16-17).**

وهذا معناه أن الفرد بالفعل لديه مفهوم مميز عن الخير فى ذهنه كى يستطيع أن يتساءل ما إذا كان من الصحيح إسناد مفهوم السرور أو أى سمة يُزعم أنها خير أم لا. وحيث إن حجة السؤال المفتوح تُظهر أن " الخير " لا يمكن أن يكون فكرة مركبة أو بلا معنى ؛ إذن فلا مفر من أن نستنتج أنها فكرة بسيطة غير قابلة للتعريف.

فى حقيقة الأمر كان غرض " مور " من تعريفه للخير بهذا الشكل ، أى دون وضعه فى ضوء سمات طبيعية ، يتمثل فى أن هذا المدخل يمنع أو يحول دون إمكانية وجود نقاش أخلاقى منطقى أو مقبول بشكل قبلى أو مسبق ، ولعل هذا السبب الذى جعله يرفض كل محاول ات تقديم تعريفات طبيعية للخيرية ، ويقول فى ذلك :

" إذا اقتنعنا بأن تعريف الخير يمكن الوصول إليه ، فإننا بذلك سنصبح على يقين بأن الخير لا يعنى إلا سمة واحدة أو سمة معينة فى الأشياء ، وبالتالى سيصبح شغلنا الشاغل هو البحث عن تلك السمة. أما إذا بدأنا بالاقتناع بأن الخير يعنى كذا وكذا ، فإننا إما سنسىء فهم وفحصص حجج المعارضين ، أو نمتنع عن الرد عليهم ، وهذا ليس سؤالاً مفتوحًا ، فمعنى الكلمة محدد وكامن فيها ، وكل من يفكر عكس يلتبس عليه الأمر " . **((Moore,1903,Pp.20-21).**

(3) نقد حجة السؤال المفتوح عند " مور ":

ويمكن إيجاز ذلك فى الآتى:

1. اعتقد " مور " أن معنى المصطلح أو الكلمة يتحدد كليًا بواسطة المفهوم أو المقصد الموجود فى أذهاننا ، وذلك عندما نستخدم هذا المصطلح فى الحمل أو الوصف . ووفقًا لما يراه " مور " لا توجد سمة طبيعية يمكنها تقديم تحليل لمعنى خيرية الشىء ، ذلك لأننا نقصد شيئًا ما آخر مختلفًا عندما نقول إن شيئًا ما يكون خيرًا ، مقارنة بقولنا إن شيئًا ما ذا سمة طبيعية ، فالمعنى فى أذهاننا مختلف فى الحالتين.

الا أن " بوتنام(1926م ـــ 2016 م)Putnam "(*) ترى أن حجة "مور" تثير عديدًا من الافتراضات التى نرفضها اليوم ، حيث تبين مما سبق رفضه لوجود سمة تركيبية للسمات الأخلاقية، ولعل إشكالية هذا الموقف قائمة على ارتباط غير معقول وغير منطقى بين ما يدور فى ذهن الفرد، وما يحدث فى العالم الخارجى. بمعنى آخر خلط بين السمات الأخلاقية ومفاهيمها. **(Putnam,1981,Pp.206-207)**

أى أنه ليس عيبًا أن يتم الخلط بينهما ، وذلك من أجل التبرير والتفسير ، هذا بالإضافة إلى أن عقل الانسان قائم على فكرة تركيب المعطيات الخارجية ، ثم تحليلها وتبسيطها إلى أشياء وموضوعات فردية.

(*) هيلارى بوتنام : فيلسوفة وعالمة رياضيات أمريكية ، تتعلق جميع أعمالها بفلسفة الذهن واللغة وفلسفة العلوم ، ذاع صيته فى الاهتمام بالسيمنطاقية الخارجية . من أهم مؤلفاته : " فلسفة المنطق " (1971م) ـــ " الواقعية والعقل " (1983م) ـــ " تجديد الفلسفة " (1992م) ـــــــــ " الأخلاق من دون أنطولوجيا " (2004 م).
- (CP; https://www.britannica.com/biography/Hilary-Putnam). تاريخ الدخول 29/7/2018م

2. يرى " مور " أننا عندما نقدم حكمًا معياريًا مثلX) " :) خير " يمكننا أن نتساءل دائمًا هل يعد " (X) خيرًا " بغض النظر عن السمة الطبيعية التى قد يكون عليها (X) . إذن فإن سؤال " هل يعد (X) خيرًا " لا يمكن غلقه بالمعنى الذى يقدمه التساؤل التالى: " هل الرجل غير المتزوج أعزب ؟ ". ذلك لأن المعنى السيمانطيقى لـ (X) ـــ حيث تعد(X) سمة طبيعية ـــ لا يمكن أن يتماثل مع المعنى السيمانطيقى لـ " خير ". ولهذا فإن " الخير " يمكن تعريفه باستخدام أفكار معيارية آخرى ، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الحكم على (X) بكونه خيرًا ؛ مجرد تحصيل حاصل.

إن رؤية " مور" هذه يمكن التعبير عنها من خلال القول بأن سمة "الخير" تفتقر إلى مرادفات طبيعية أو غير طبيعية، ولعل الاعتراض التقليدى على حجة "مور" يتمثل فى أنها لا تبرهن على ما يحاول "مور" أن يثبته. فحجة السؤال المفتوح تعد حجة سيمانطقية، حيث تهتم بمعنى الكلمات المختلفة، وهذه الحجة قد تبرهن على أن كلمة "خير" ليس لها المعنى نفسه لأى محمول آخر ، كما أنها قد تبرهن على أن الطبيعة السيمانطقية التحليلية كاذبة ، ولكن لا يترتب على ذلك أن سمة الخيرية هى سمة فريدة مختلفة عن أى سمة آخرى**(Pigden,. 1993,P.426)**

3. ليس معنى اعتماد "مور" على المنهج التحليلى أن ما يقدمه صادقًا، فالتحليل يوضح الأشياء للفرد، والتى كان على علم بها بشكل ضمنى حتى هذه اللحظة. ومن ثم نستنتج أنه قد يكون هناك تحليلات ثرية بالمعلومات وغير واضحة، فليس معنى الاعتماد على التحليل أننا نستطيع الوصول لكافة الحقائق. ولهذا فقد أخفقت حجة "مور" فى إثبات كذب الطبيعة السيمانطقية**(1993,P.427 . . . (Smith,1994,P.38), (Pigden,**

4. لقد اتضح من الأمثلة التى ساقها "مور" أنه يلجأ ضمنيًا إلى معيار الترادف ، فعندما يقول: "الأصفر" سمة الإصفرار ، "سار" سمة السرور ... وكذلك الخير، فهو بذلك لا يضيف جديدًا، بل إنه قد وقع فى خطأ آخر حيث قد يكون هناك محمولان غير مترادفين قد يشيران فى الوقت نفسه إلى سمة واحدة . على سبيل المثال : "عند قولنا بأن الكذب خطأ" ، فالمحمول هنا خطأ، وهو يشير إلى العديد من السمات التى لا يمكن تصورها الا من خلال الرجوع والاعتماد على التفسيرات الطبيعية التى أنكرها "مور" فى البداية. فالكذب خطأ لأنه يهدد الصالح العام ، أو أنه بداية طريق الضلال .... الخ.

*** على أى حال تعد "المغالطة الطبيعية"، و"حجة السؤال المفتوح" بمثابة برهان عملى لإثبات الخلاف بين "الواقعية" و"ضد ـــ الواقعية" ، فهناك من يلتزم بالتفسيرات الميتافيزيقية بجانب الاعتماد على الطبيعة، وهناك من يرفضها ويعتمد على الطبيعة فقط.

أما عن الفترة المعاصرة، لا سيما فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد ظهر اتجاه واقعى جديد على النقيض من "المغالطة الطبيعية" عند "مور" ، يهتم بتطوير هذه الإشكالية سمى بـ "واقعية ـ كورنيل" نسبة إلى جامعة كورنيل الأمريكية ـ حيث قام هذا الاتجاه بربط القيم الأخلاقية بالمضامين الطبيعية عبر الاعتماد على التجربه العلمية . سنحاول فى الصفحات القادمة التطرق إلى بعض من أفكار هذا الاتجاه ، لاسيما طبيعته وكيف أثر فى القيم والأخلاق استنادًا إلى كتابات أشهر روادها مثل: "برينك ."

(ثانيًا) : ـ " واقعية كورنيل Cornell " ومكانة " بيتر رايلتون " فيها .

تبين لنا مما سبق أن " مور " يعد الوقائع الأخلاقية وقائع غير طبيعية أى غير موجودة فى الطبيعة لأنها متفرده بذاتها. وفى السياق ذاته يعد " جون ماكى (1917م – 1981م) Mackie,J "(*) الوقائع الأخلاقية بمثابة نوع " شاذ Queerness " من الوقائع التى يواجهها الانسان ؛ ينبغى أن تكون ذات " قوة تحفيزية Motivational Force "، على النقيض من الوقائع الطبيعية. أى أنه ـــــ أى ماكى ـــــ لا يرى عدم وجود لهذه الوقائع الأخلاقية فى الطبيعة.**(Mackie,1977,Pp.38-42)**

ومن ثم أضحى بحثنا منصبًا حول بيان مدى مصداقية الاحتمال القائل بأن الوقائع الأخلاقية هى وقائع طبيعية لا تختلف عن الوقائع التى تتعامل معها العلوم الطبيعية ، أى لا انفصال بين مجال الاثنين، ولعل " واقعية كورنيل " تهتم بهذا النوع من الوقائع . وسوف نناقش ما إذا كانت " واقعية كورنيل " يمكنها تقديم تفسير مقنع للتابعية الأخلاقية أم لا؟ أى كيف استطاعت "واقعية ـــ كورنيل " التوفيق بين السمات الأخلاقية والطبيعية ؟.وفى أثناء عرضنا لذلك سنحاول التركيز على كتابات " برينك " أحد أقطابها حيث التزم بربط الأفكار الميتافيزيقية بمبادىء " واقعية كورنيل."

(أ) ماهية " واقعية كورنيل " وأبرز روادها:

لقد تأسست "واقعية كورنيل" حول فكرة أو مبدأ رئيس وهو " مبدأ اللا ـ رد Reduction Non" الذى هو نقيض " مبدأ الرد Reduction " (**) فمبدأ الرد قائم على رد الوقائع الأخلاقية وطبيعتها ـ الخارجة عن حيز "الزمكان" أى غير الطبيعية إلى وقائع طبيعية ــ أى وقائع خاضعة لحيز "الزمكان" ـ وهذا موقف "بيتر رايلتون" النموذج الذى اتخذناه للدراسة الحالية. أما عدم الرد فغير قائم على رد الوقائع الأخلاقية إلى الطبيعية. وإنما يعتقد أتباعه بأن الوقائع الأخلاقية طبيعية بالفع ، وهذا موقف مجموعة من الفلاسفة(*)؛ أطلق عليهم "ألكسندر ميللر (1965م –)Miller,A " (**) لقب "

(*) جون ليسلى ماكى : فيلسوف أسترالى ولد بمدينة سيدنى ، اهتم بعدة أفرع فلسفية على سبيل المثال ؛ فلسفة الدين، واللغة والميتافيزيقا . ولكنه ذاع صيته من خلال كتاباته عن الأخلاق وخاصة " الأخلاق ـــــ البعدية ". من أهم مؤلفاته : "علم الأخلاق : اختراع الصواب والخطأEthics:Inventing Right and Wrong " (1977م).

(**) رد الشىء أى حوله من صفة إلى صفة أخرى، ورد الشىء إلى شىء أرجعه اليه ، والرد فى اصطلاح الرياضيين والمناطقة ، هو تحويل بعض موضوعات الفكر إلى موضوع آخر معادل له ، كرد الكسور إلى مخرج واحد، أو رد القياسات التى من الشكل الثانى أو الثالث أو الرابع إلى الشكل الأول. والرد فى اصطلاح الفلاسفة إرجاع الشىء إلى عناصره المقومة وتخليته من العناصر الغريبة عنه، كرد المذهب إلى مبادئه ، ورد الاستدلال إلى سلسلة من الحدوس ، ورد الحكم إلى تداعى الأفكار، والرد هنا مرادف التحليل-.
(انظر؛ صليبا،1982م، ص ص 612-613) .

(*) وسوف نشير إلى هؤلاء الفلاسفة فى سياق البحث)

(**) ميللر: أستاذ ورئيس كرسى الفلسفة بجامعة أوتاجو Otago منذ عام (2012 م) حصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة ميتشجان فى عام (1995م) ، وهو حاصل أيضا على شهادة " M.Litt "فى المنطق والميتافيزيقا من جامعة سانت أندروز عام (1989م) ، ودرجة الشرف فى الرياضيات والفلسفة من جامعة جلاسكو (1987م).ــ من أهم مؤلفاته : "فلسفة اللغة Philosophy of language " (1998 م) ـــ "مدخل إلى الأخلاق ـ البعدية المعاصرة An Introduction to Contemporary metaethics " (2003م) – "الواقعية Realism" (2014م).
تاريخ الدخول 30/7/2018م .(Cp; http://otago.academia.edu/AlexMiller)-
- (And Cp; https://www.otago.ac.nz/philosophy/dept/staff-miller.html). تاريخ الدخول 2018/7/30م

واقعيو كورنيلCornell Realists " نسبةً إلى " جامعة كورنيل "(* * *) التى تعلموا فيها.**(Miller,2003,P.139)**

فهؤلاء الجماعة على النقيض من "مور" الذى رأى بإستحالة رد الوقائع الأخلاقية وسماتها إلى وقائع وسمات طبيعية ، نظرًا لتميز مفهوم "الخير" عنده. إلا أن جماعة "كورنيل" ـــــ كما يذكر "ميللر"ـــــ تؤمن بأن الحقائق الأخلاقية وسماتها جزء من الحقائق والسمات الطبيعية؛ لذلك يؤمنون بالمذهب الطبيعى حتى إذا لم يكن هناك رد مباشر من "الأخلاق" إلى "اللا ـــــ أخلاقNon-Ethics " . **(Miller,2003,P.139)**

وبهذا يلجأ أتباع "واقعية كورنيل" دائمًا إلى تفسير الوقائع الأخلاقية وطبيعتها، بالإضافة إلى العمل على تبرير وجودها ، لأنهم يعدونها بمثابة خصائص وكيفيات موضوعية متداخلة مع العالم الطبيعى الواقعى. لذا فلا بد أن نمعن النظر إلى الاتجاه الجديد لأتباع "واقعية كونيل" القائم على أن الوقائع الأخلاقية يمكن تفسيرها والإيمان بها بالطريقة نفسها التى تبرر الوقائع العليمة؛ ويقول "ميللر" عن ذلك:

" يزعم أتباع " واقعية كورنيل " رؤية خصائص أو كيفيات الوقائع الأخلاقية ، حيث إنها تعد جزءًا من البنية الطبيعية للعالم. فبالطريقة نفسها التى نرى بها ـــــ على سبيل المثال ـــــ الوقائع الفيزيائية، والكيميائية ، والبيولوجية حيث تعدو جزءًا من العالم الطبيعى يمكن تبرير الواقعية الأخلاقية من خلال النظر بعناية إلى العالم الطبيعى ".(Miller,2003,P.140)

وللحديث عن نشأة "واقعية كورنيل" نقول إنها نشأت فى الثمانينيات على يد كلٍ من: "ريتشارد بويد (1942م -)Richard Boyd"(****) "بيتر رايلتون (1950م –) Peter Railton"(*****) ،

(***) جامعة كورنيل : تأسست عام (1865م) وهى جامعة خاصة أمريكية تقع فى مدينة " ايثاكا " فى ولاية نيويورك ، وتعد من أعرق الجامعات الأمريكية حيث بلغ عدد الحاصلين فيها على جوايز نوبل 43 شخصًا.

تاريخ الدخول 30/7/2018م (Cp; https://www.cornell.edu/about)-

(****) ريتشارد بويد : فيلسوف أمريكى ، اشتغل بالتدريس بعدة جامعات أمريكية من بينها : هارفارد ، ميتشجان و كاليفيورنيا، اشتهر بحجته العلمية المدافعة عن الواقعية الأخلاقية . ومن أهم مؤلفاته: ــ " كيف تصبح واقعيًا أخلاقيًا؟ How to be a Moral Realist?" (1988م).

تاريخ الدخول 2018/7/30م **-(Cp; http://philosophy.cornell.edu/richard-newell-boyd).**

(*****) بيتر رايلتون: أمريكى الأصل، أستاذ الفلسفة بجامعة "بيركلى" و "بيرنستون"، زميل جمعية العلوم الإنسانية بجامعة "كورنيل" ـ كما أنه زميل فى الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ، كما أنه شغل منصب رئيس الجمعية الفلسفية الأمريكية عام (2011م ـــ2012م) حصل على جائزةD'arms " " عام (2009م) فى إرشاد المتعلمين المتميزين فى العلوم الانسانية. اهتم " رايلتون " بالكثير من أفرع الفلسفة، منها على سبيل المثال لا الحصر: " الأخلاق " و " فلسفة العلم". وانصب تركيزه على طبيعة الموضوعية، والقيم، والمعايير والتفسير. كما أنه لديه اهتمامات خاصة " بالأخلاق ـــ البعدية" وبالبحوث التجريبية فى علم النفس . ـ ومن اهم مؤلفاته: ـ " الواقعية الأخلاقيةMoral Realism " (1986م).

" (1991م).Moral Theory as Moral Practice ـــ " النظرية الخلقية باعتبارها ممارسة خلقية

ـ " بعض التساؤلات حول تبرير الأخلاقيةSome Questions about the Justification of Morality " (1992).

تاريخ الدخول30/7/2018 **-(Cp; https://lsa.umich.edu/philosophy/people/faculty/prailton)**

"دافيد برينك"، و "نيكولاس ستورجينNicholas Sturgen"(***) ،فقد كان منهج هؤلاء استخدام المنهج العلمى فى الأخلاق قدر الإمكان، وهذا ما قد كان يبدو غريبًا وغير مألوف. فمن خلال استخدام المنهج العلمى التجريبى نتمكن من معرفة بعض الخصائص الطبيعية: كالاحمرار ، والاستدارةroundness ... الخ، ويمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة ولكن عند تطبيق ذلك على الأخلاق يبدو كأنه شيء غير مألوف، فكيف يمكن تعريف "الخير" من خلال المماثلة بين الخصائص الأخلاقية والطبيعية؟. (1)

ومن ثم يمكن أن نستنتج ــ تبعًا للمنهج الذى اتبعته "واقعية كورنيل" ـــ الآتى:

1. رفضها لتحليلات المدرسة الانفعالية والوصفية(****) ،المباشرة للغة الأخلاقية، كذلك " نظرية الخطأError Theory " (******)عند "ماكى"حيث إن هذه الآراء لا تترك مساحة لتصور الصدق الأخلاقى الذى يريدون الدفاع عنه، الخاضع للنهج العلمى التجريبى غير المألوف للاتجاهات السالفة.

(***) ستورجين :تخرج فى جامعة " كورنيل " (1967م) ، وأصبح أستاذًا زائرًا بجامعات: ميتشجان وكاليفورنيا. انصب معظم انتاجه العلمى على الأخلاق وخاصة " الأخلاق ــ البعدية " ، كما اهتم بالواقعية الأخلاقية ، وبفلسفة الأخلاق البريطانية من هوبز إلى هيوم. ـــ ومن أهم مؤلفاته: ـــ " التفسيرات الخلقية Moral Explanations " (1984م).
تاريخ الدخول30/7/2018م (**Cp; http://philosophy.cornell.edu/nicholas-sturgeon**)-

(1) https://plato.stanford.edu/entries/naturalism-moral/#CornReal تاريخ الدخول2018/7/30م

(****) الانفعاليةEmotionalism : ترى أن العبارات الأخلاقية بمثابة تعبيرات انفعالية فى أوامر تطلب أو تنصح بشيء ، أو هى تقارير عن ميول المتحدث واتجاهاته وحالاته الذهنية . أما المنهج فينبغى من خلاله النظر إلى التقارير الأخلاقية على أنها جزء منه ، وهو شيء يتم القيام به بشكل ما عن طريق النصح أو الطلب أو الأوامر . فالمنهج الوصفى بشكل عام يخبرنا أن نفعل شيئًا ما ، على عكس التقارير التى تقول لنا إن شيئًا ما هو الواقع . والمنهج الوصفى هو شيء مختلف تمامًا عن أن يكون لديك تأثيرًا عاطفيًا ومختلفًا عن التأثير فى مواقف المستمع .
ــ لكن (يرى الباحث) أن ما يؤخذ على هذين المنهجين : إن الاعتماد عليهما يؤدى إلى الزيف والضلال ؛ فالجمل والقضايا فى حد ذاتها عبارة عن شيء مغاير تمامًا للفعل الذي يعد مجرد تعبير انفعالي ، فالأولى ليست فعلاً للقيمة بالمعنى المتعارف عليه للكلمة ، وليس بالمعني الذي تحمله القضية اللغوية من صورة انفعالية معبرة عن الفعل الأخلاقى . كما ان فهم الانفعاليين والوصفيين للأخلاق قائم على الرغبة الذاتية بين الأفراد فقط ، ولا يمكن تعميم فهمهم بصفة عامة على المجتمع ككل. فعلى سبيل المثال: قد يعني أنه هذا من الممكن أن أضع سيارتى مثلاً فى أماكن ممنوع الانتظار، فيها نظرًا لأنها قريبة من مكتبى ، ويعد هذا من خلال رؤيتى صحيحًا ، ولكن من خلال رؤية المجتمع فهذا خطأ بالفعل,ـ(**انظر : الحفنى ، 200 م ، ص 125) ,(CP;Beandt, 1959,Pp.221-223)**-

(*****) نظرية الخطأ الأخلاقية : تحأول الجمع بين الاتجاهات المعرفية ؛ التى ترى أن اللغة الأخلاقية تتكون من قضايا عادة ما تكون أقرب إلى الحقيقة ، وبين الرؤى اللاواقعية الأخلاقية ؛ والتى ترى أنه لا توجد حقائق أخلاقية. ومن ثم تؤمن بـأن الوقائع الأخلاقية غير موجودة لأنه اذا كان لها وجود حقيقى ، لكان لها قوة دافعية ذاتية ، وهذا ما لا يوجد فى الواقع. وقدم "جون ماكى " نظريته هذه من خلال علاقة جدلية منطقية لإثبات رؤيته كالآتى:

1. إذا كانت الأحكام الأخلاقية صادقة ، فلا بد ان تكون مرتكزة على وقائع أخلاقية صادقة أيضا.
2. ومن ثم لا بد أن تكون هذه الحقائق موجودة.
3. إذا كانت هذه الحقائق موجودة فلابد أن تكون مختلفة عن أى حقائق أخرى لأنها ذات طابع دافعى.
4. ولكن من خلال النظر إلى الواقع لا نجد لها وجود.
5. اذن الوقائع الأخلاقية ليس لها وجود ، ومن ثم الأحكام الأخلاقية باطلة ، كما أنه لا توجد معرفة أخلاقية ، لأن المعرفة تتطلب وقائع ، وهنا لا وجود للوقائع.**(CP; Mackie,1977, Pp.48-49)**-.

2. كما يتضح أنهم رفضوا القطب الآخر من الواقعية وهو " ضد ـــــ الواقعية "، حيث أنهم يرون أن جميع النظريات والاتجاهات السابقة تعتمد على الدليل الذاتى من أجل الوصول إلى السمات الأخلاقية ولا تعتمد على الطبيعة فى شىء. الا اننا نرى أن واقعية كورنيل" بمثابة توحيد بين الاتجاهين أى بين الدليل الذاتى القائل به " مور" والذى يستطيع الإنسان فيه ـ تبعًا "لمور" ـ التعرف على الخير من خلال قوته الداخلية أى "الحدس" هذا من جانب. ومن جانب آخر معرفة الانسان للخير من خلال الموازه ــ تبعًا لواقعية كورنيل ـ بين الأخلاق والطبيعة. لذا تعد أهم ميزة "لواقعية كورنيل" أنها استطاعت تأسيس رؤية جديدة عن الخير الأخلاقى والطبيعة، والتى لا يمكن لحجة السؤال المفتوح القيام بذلك.

فالقضايا الأخلاقية ـ عند كورنيل ــ ليست تكرارية كما عند "مور"؛ فمثلاً ، عندما يقول "مور": (إن الرجل غير المتزوج) هو بمثابة تحليل لغوى لكلمة (أعزب) ، فهذا ليس من شأنه إضافة جديد ، وإنما بمثابة تكرار ... بعكس مدرسة " كورنيل " التى رأت أن الخصائص الأخلاقية تعد خصائص طبيعيه وبذلك تصبح القضية الأخلاقية هنا بمثابة قضية تركيبية وليست تكرارية . **.(Railton,1989,P.152)**

ومن ثم يتشابه موقف "كورنيل" مع القضايا العلمية، فهناك أسباب تجعلنا نفهم المصطلحات الأخلاقية بشكل معين، وهى بالمثل الأسباب نفسها التى تجعلنا نقول إن " التفسير العلمى " يمكننا من فهم ذلك المفهوم الأخلاقى فى ضوء العلم التجريبى. فالأصل فى منهج " واقعية كورنيل" هو أنها تتبنى بشكل مباشر الرؤى المقبولة حول الخصائص الطبيعية والمعرفة العلمية ، وذلك من أجل الإجابة عن التساؤلات الأساسية للميتافيزيقا والابستمولوجيا الأخلاقية ، لكن ما هذه الخصائص الأخلاقية ؟ .

يصف "بويد" الخصائص الطبيعية بأنها خصائص عنقودية متجانسة Homeostatic Cluster لكن هل من خصائص آخرى تتصف بأنها عنقودية متجانسة؟ . يرى "بويد" أننا يمكن أن نعد الخصائص الأخلاقية من هذا النوع .**(Boyd,1988.Pp,196-197)** لكن كيف تتم المعرفة الأخلاقية ؟ يرى " بويد" أنها تتم من خلال الملاحظة المباشرة أى من خلال ملاحظة الوقائع والأحداث المحيطة بنا لكن بشكل مجرد، إن هذا المنهج يتشابه مع المنهج العلمى الذى يعمل على تحويل الواقعية الأخلاقية إلى واقعية علمية. هذا بالإضافة إلى التشابه فى الاتجاه إلى العقلانيةReasoning فالعقلانية الأخلاقية تشبه إلى حد كبير العقلانية العلمية. **(Boyd,1988.P.200)**

*** ومن ثم يمكن أن نستشف أبرز ماهيات " واقعية كورنيل " فيما يلى :

1. الاعتماد على مبادىء العلم التجريبى،مما جعلها ترى أن الخصائص الأخلاقية خصائص طبيعه.
2. التغلب على النظرة الضيقة للطبيعة، أو حيز " الزمكان " ، والعمل على تطويع ما يوجد خارج هذا الحيز من خلال تفسيره فى حدود المنهج العلمى التجريبى.
3. التغلب على حجة السؤال المفتوح لـ " مور " ، وفكرة الـ" المغالطة الطبيعية .
4. الموازاة بين الأخلاق والطبيعة.

(ب) رؤية " واقعية كورنيل " للقيم والأخلاق:

يؤكد " ديفيد برينك " على أن أهم ما يميز " واقعية كورنيل " هو اعتقادها بأن السمات الأخلاقية تعد سمات طبيعية يقول :

" يعتقد الواقعيون أن الحقائق الأخلاقية وسماتها تعد سمات طبيعية (أى أنها طبيعية ، وعلمية واجتماعية) ".(Brink,1989,P.156)

وبناء على ذلك يمكن أن نلمح تفسيرين مختلفين لرؤية هذه المدرسة للقيم والأخلاق:

التفسير الأول: أن السمات الأخلاقية " تتطابق Identical " مع السمات الأخلاقية .

التفسير الثانى: أن السمات الأخلاقية "تتألف Constituted"بواسطة السمات الطبيعية.

أما عن التفسير الأول: السمات الأخلاقية **تتطابق** مع السمات الطبيعية.

معناه أن المحمولات الأخلاقية ، وبعض المحمولات الطبيعية تشير إلى السمات نفسها فى كل العوالم الممكنة، وهذا ما أكده "برينك "بقوله:**" يشير مثل هذا الادعاء إلى أن المفاهيم الأخلاقية والمفاهيم الطبيعية، والاجتماعية والعلمية تعبر عن السمات نفسها (أى تشير إلى السمات نفسها فى كل العوالم الممكنة)." (Brink,1989,P.157)**

ولتوضيح ذلك ننظر إلى المثال " العلمى " التالى : **عند القول بأن سمة كون الشىء " ماءً " تتطابق مع سمة كون الشىءH2o " " ، وهذا لا يعنى أن هناك سمة لكون الشىء " ماء " وسمة آخرى مميزة ومختلفة عن كون الشىء " H2o " ولكن كلا السمتين متطابقتان . بمعنى آخر ؛ إن " الماء " و" H2o " يشيران إلى المادة نفسها فى كل العوالم الممكنة . بناءً على ذلك عندما نفسر " الواقعية " على أنها نظرية تشير إلى الإدعاءات بالتطابق ، فإنها تلزم أن تكون السمات الأخلاقية والطبيعية متطابقة بالضرورة .(Brink,1989,P.157)**

إن ما يقصده " برينك " من خلال ما سبق أن ادعاءات التطابق فى الأخلاق ينبغى تفسيرها بناء على نمط من ادعاءات تطابق آخرى مثل:(أن "الماء" هوH2o"").("درجة الحرارة" هى متوسط الطاقة الحركية الجزئية)، كذلك ("الضوء" هو اشعاع كهرومغناطيسى). وأن ما يميز هذه السمات أو الادعاءات هى أنها تركيبية وضرورية. ومن ثم تعد سمة التركيب والضرورة أبرز ما يميز التفسير بالتطابق.

لكن فى حقيقة الأمر يختلف (الباحث) مع "واقعية كورنيل" فى هذا التطابق، حيث إنه غير منطقى وغير مبرر. ويمكن أن ندلل على صحة اختلافنا فى فكرة "التطابق" بين الوقائع الأخلاقية والوقائع الطبيعية من خلال رؤية "جلبرت هارمان (1938م – ...)Harman,Gilbert "(*) لفكرة "الملاحظة Observation " سواء الملاحظة الأخلاقية أو العلمية، ولتوضيح ذلك يسوق "هارمان" المثال التالى:

" قيام مجموعة من قطاع الطرق باشعال النيران فى قط صغير؛ وقد فُهم من ذلك السلوك بأنهم يفعلون شيئًا خطأ وغير أخلاقى. بناءً على ذلك يتساءل "هارمان" هل تفاعلك مع هذا الفعل يكون وفقًا للموقف الذى تراه بعينك، أم أنه ببساطة مجرد انعكاس لحسك الأخلاقى، ذاك الحس الذى اكتسبته نتيجة لتربيتك ؟".(Harman,1977,P.7)

(*) هارمان : فيلسوف أمريكى ، أستاذ بجامعة برنستون له عديد من الاهتمامات فى فلسفة اللغة ، والأخلاق ، وعلم النفس التجريبى . ـــ من أهم مؤلفاته: - " النسبية الأخلاقية والموضوعية الأخلاقية Moral Relativism and Moral Objectivity" (1996م) - "العقلانية ، المعنى والعقل Reasoning, Meaning, and Mind " (1999م).
تاريخ الدخول 2018/7/31م -(Cp; http://www.princeton.edu/~harman)

وفقًا " لواقعية كورنيل " والتى تَعدُ السمات الأخلاقية بمثابة سمات طبيعية ؛ ترى أن تفاعلك فى هذا المثال السابق يكون بفضل خبراتك وتجاربك السابقة ، وأن هذه الملاحظات الأخلاقية شبيهة بالملاحظات العلمية. إلا أنه على الجانب الآخر لا يؤمن "هارمان" بأنهما متشابهان ـــ ونحن نتفق معه ــ حيث لا يمكن أن تتم الملاحظات الأخلاقية من خلال رؤية الأشياء المجردة فقط ، وإنما من خلال حصيلة معرفية هائلة . فعندما نعود إلى قضية " قطاع الطرق السابقة والقط " لا يمكن بناء ملاحظتنا إلا من خلال المرور بحصيلة عظيمة من المعرفة ، مما يجعل الملاحظة العلمية تختلف عن الملاحظة الأخلاقية التى لا تمر بكل هذه الجوانب من المعرفة ، ويوضح " هارمان " ذلك من خلال الآتى :

يجب أن تكون على علم بالأشخاص وبماهيتهم... وبالحيوانات وماهيتهم أيضا المكونة من لحم ودم خاصة القطط ، هذا بالإضافة إلى أن نكون على علم ببعض الأفكار المتعلقة بالحياة وبالجازولين Gasoline وبفكرة الاشتعال. بمعنى آخر؛ يجب أن ندرك أن الذى نراه عبارة عن نمط ونوع معين من ضوء شبكية العين أو أنها بمثابة رؤية مجموعة من البقع البصرية... كما يجب أن نكون على علم ببعض النظريات التى تفسر ما يحدث أمامنا مسبقًا، حيث إن التغير فى هذه النظريات أو فى الشخص الذى يلاحظ، سيجعلك ترى شيئًا آخر. (Harman,1977,Pp,4-5)

كما يستطرد " هارمان " واصفًا الاختلاف بين الملاحظة الأخلاقية والملاحظة العلمية قائلاً : إن الملاحظات الأخلاقية لا يمكن أن توازى النظريات العلمية ، ويثبت ذلك فى الآتى:

" تلعب الملاحظة دورًا هامًا فى العلم، ولا يبدو أن لها دورًا فى الأخلاق، ويظهر الاختلاف بينهما من خلال الاختلاف فى حاجتك إلى عمل فروض متعلقة بالوقائع الفيزيائية العلميةـــ على سبيل المثال ـ الفيزيائى الذى يقوم بعمل ملاحظة علمية لتجربته المعملية ، وذلك من خلال تفقده لآثار البخار فى الغرفة السحابية ، ثم يعتقد أن ذلك البخار بروتون. إذا لم يكن لدى الفيزيائى فروض ونظريات مسبقة بأن هذا بروتون ، وأن تلك الغرفة هى الغرفة السحابية ، أو الحركة فى مسارات البخار، لأصبحت نظريته عديمة الجدوى . وهذا على النقيض من الوقائع الأخلاقية، فأنت لا تحتاج لمثل هذه الافتراضات المسبقة حتى تستطيع تفسير الملاحظات الأخلاقية. بمعنى آخر ؛ لا تحتاج إلى أن تكون على علم بالحدس أو بالحس الأخلاقى أو السيكولوجى فهذه العناصر كامنة أساسًا داخل الانسان مفطورُ عليها ولا سبيل إلى تعلمها ، من هنا يكمن الفرق بين الملاحظتين ".(Harman,1977,Pp,6-7)

مما سبق يستخلص "هارمان" أن مجرد النظر لهذه الوقائع الأخلاقية لا يسهم فى تفسير الملاحظات الأخلاقية، فمن الممكن لأى إنسان تفسير الملاحظات الأخلاقية دون عمل أى فروض أو دراسة أى نظرية من النظريات، مثلما يقوم عالم الطبيعة بذلك، وإنما يعتمد على حسه الأخلاقى فقط فى اثبات ذلك.

لكن بالرغم من اختلاف "هارمان" مع "واقعية كورنيل" فى فكرة "الملاحظة"، إلا أنه اتفق معهم فى أن الوقائع الأخلاقية تظهر من رؤيتنا الحقيقية لوقائع الطبيعية، أى من خلال إعطاء تحليل مجازى للوقائع الأخلاقية. فالوقائع الأخلاقية تعد وقائع طبيعية، بالطريقة نفسها التى يتم فيها معرفة الوقائع المتعلقة بالمواطن الأمريكى العادى من خلال معرفة الوقائع المتعلقة بالمواطنين الأمريكان ككل. حيث إن الافتراضات المتعلقة بالمواطن الأمريكى العادى لا تساعدنا فى تفسير كل شىء متعلق بالمواطن الأمريكى تحديدًا ولكن يمكن الحصول على ذلك من خلال النظر إلى الفروض المتعلقة بالمواطنين الأمريكان ككل**(Harman,1977,P13 .)**

***على أى حال بالرغم من اعتقاد "واقعية ـــ كورنيل"بفكرة التطابق بين السمات الأخلاقية والطبيعية، إلا أننا نختلف معها فى ذلك، ونتفق مع الرؤية المضادة التى قدمها "هارمان" سابقًا، حيث اعتمد فى بناء رؤيته على "الملاحظة" التى توضح هذا الاختلاف بين المجالين، فالمجال الطبيعى يعتمد على فروض ونظريات مسبقة، بعكس الأخلاق التى تعتمد على الحس الاخلاقى.وبناءً عليه نرفض فكرة التطابق.

أما عن التفسير الثانى:_ ما معنى كون السمات الأخلاقية **" تتألف Constituted "** بواسطة السمات الطبيعية ؟ . يصف "برينك" هذه العلاقة كالتالى:

" إذا كانت (G) تُشكل أوتؤلف(F) بشكل واقعى ، ولكن (F) تتحقق أو من الممكن أن تتحقق بشكل مختلف ، إذن فإن (G) تحقق وتؤلف (F) ولكنها ليست متطابقة معها".(Brink,1989,P.157)

ان ما يود " برينك " قوله إنه إذا كان الشيء لا يعتمد بصورة رئيسة على شيء آخر ويمكن أن يعتمد على شيء آخر دون الأول ، فهو لا يتطابق معه ، وإنما يتشكل من خلاله. فعلى سبيل المثال ؛ انظر إلى تمثال ما مصنوع من الرخام. فإذا نظرنا إلى كتلة الرخام وجدنا أنها تتخذ شكلاً معيناً، وتشغل الحيز نفسه من الفراغ الذى يشغله التمثال. لكن هل معنى ذلك أن التمثال متطابق كليةً مع كتلة الرخام التى تأخذ هذا الشكل؟ بالطبع (لا). فالتمثال له صورة معينة بعكس كتلة الرخام ، ولنفرض على سبيل المثال تمثال الحرية بنيويورك إذا حدث له عملية تخريب معينة وليكن انكسار الشعلة ، فبالرغم من ذلك لا تتغير هوية التمثال ويبقي تمثالاً ـــــ ولننظر إلى تماثيل الفراعنة التى قد تصاب بعملية تخريب، وبالرغم من ذلك تحتفظ بهويتها ـــــ بعكس كتلة الرخام ، إذ حصل لها عملية تخريب معينة فتتغير حالتها على التو. هذا مقصد "برينك" من فكرة " التأليف."

ولعل علاقة التأليف تنطبق على نوع العلاقة بين السمات الطبيعية والأخلاقية بالشكل التالى :**"إذا كنا نؤمن بأن السمات الأخلاقية لا تتطابق مع الطبيعية، وأنها تتألف بواسطتها. والسبب فى ذلك أنه بالرغم من أن السمات الأخلاقية تتحقق أو تتألف من سمات طبيعية ، إلا أن السمات الأخلاقية يمكن أن تتألف بواسطة سمات آخرى غير طبيعية أو خارقة. بمعنى آخر؛ إن السمات الأخلاقية يمكن أن تتألف بصورة مختلفة عن التى تحققت من خلالها واقعيًا، وإذا تبنى الفرد رؤية أن السمات الأخلاقية سمات طبيعية ، بمعنى أنها تألفت بواسطة السمات الطبيعية ، اذن وفقًا لـ " برينك " فإن هذا الفرد لا يستطيع تبنى الرأى القائل بأن السمات الأخلاقية تتطابق مع السمات الطبيعية".(Brink,1989,P.177)**

تقدم الحجة السابقة مبررًا لأتباع الواقعية الطبيعية الذين يعتقدون فى حيز"الزمكان" ومقاومة التطابق بين السمات الأخلاقية والطبيعية، إنه يقدم كذلك حجة آخرى تبرر لماذا ينبغى للطبيعى أن يرفض هذا التطابق؟ حيث إن نقطة البداية لهذه الحجة هى افتراض أن السمات الأخلاقية تعد ـــــ طبقًا لما سبق ـــــ سمات "وظيفيةFunctional " يمكن تحقيقها بصورة متعددة ، فمثلاً سمة "الظلم" ... الخ وما يتعلق به يمكن تحقيقه فى ظل وجود ظروف سياسية ، واجتماعية واقتصادية ...الخ بصور مختلفة. **(Brink,1989,P.158)**

ومن ثم نتفق مع " برينك " فى عدم اتفاقه فى أن العلاقة بين السمات الأخلاقية والطبيعية علاقة تطابق نظرًا لأن السمات الأخلاقية من الممكن تحقيقها بأشكال مختلفة ومتعددة.

" هناك مبرر معين إذن لتفسير الواقعية الأخلاقية على أنها ادعاء بتأليف وليس تطابق. فالوقائع الأخلاقية وسماتها تتألف أو تتحقق بواسطة مجموعة منظمة من الوقائع العلمية ، والاجتماعية

والطبيعية، وهذا يعنى أن السمات الأخلاقية لا يمكن أن تفوق بأى شكل السمات الطبيعية". (Brink,1989,P.159)

فإذا اعتبرنا أن كون الشىء(F) - حيث (F) سمة أخلاقية معينة وليكن رمزًا إلى "الخير" - لا يفوق عن كونه شيئًا يتألف من مجموعة من السمات الطبيعية مثل " إماطة الأذى عن الطريق ...الخ، فإنه يبدو من الواضح أنه لا يمكن لشيئين فى عالم ما أن يختلفا فى (F) دون أن يختلفا فى السمات الطبيعية ، وهذا يعنى أن نظرية أو رؤية التأليف تشير إلى أن الاختلاف فى شيئين من حيث السمة (F) معناه الاختلاف بينهما من حيث سماتهما الطبيعية ، لذا يستحيل أن يكون هناك اختلاف يتعلق بـ (F) ولا يرتبط باختلاف يتعلق بالسمات الطبيعية .

*** يمكن إيجاز ماسبق فى التالى:

1. ترى " واقعية كورنيل " أن السمات الأخلاقية هى سمات طبيعية.
2. لكن هل معنى اعتقاد " واقعية كورنيل " بطبيعية السمات الأخلاقية أن بين السمات الأخلاقية والسمات الطبيعية علاقة تطابق أم علاقة تأليف ؟
3. إن حقيقة العلاقة بين السمات الطبيعية والأخلاقية علاقة تأليف وليست تطابقًا لوجود بعض نقاط الضعف فى فكرة التطابق ، والتى أكدتها فكرة "الملاحظة" ، حيث تختلف الملاحظة الأخلاقية عن الملاحظة العلمية ــ كما أشرنا سابقًا ــ
4. يكمن الدليل فى أن العلاقة بين السمات الأخلاقية والطبيعية علاقة تأليف هو تحققها بأشكال مختلفة سواء أكانت بطريقة طبيعية أو خارقة ، وأبرز دليل على ذلك عندما ننظر إلى سمة العدل أو الظلم ، نجده يتكون بعدة طرق وأشكال مختلفة.
5. لكن بالرغم من أننا نوهنا إلى أن العلاقة علاقة تأليف فنود أن نتساءل سؤالاً آخر: أى من هذه السمات الأخلاقية أو الطبيعية يتبع الآخرى ؟ ــ هذا ما سنحاول توضيحه فى التالى.

(جـ) رؤية " واقعية كورنيل" إلى العلاقة : " التابعية Supervenience " بين السمات الأخلاقية والسمات الطبيعية:

يفسر"برينك"التابعية على أنها: "علاقة شبه قانونية بين السمات ، كأن تكون السمة(F) مثلاً هى (السمة التابعة) والتى تتبع سمة آخرى أو ترتيب ما من السمات (G) (السمة أو السمات الأساسية). بمعنى آخر؛ الأمر يشبه قانونًا يشير إلى أنه إذا كان شىء ما يعد (F) فإنه يعد كذلك (G). **(Brink,1989,P.160)**

فمثلاً سمة (الخير) تتبع ــ على سبيل المثال ــ سمة (العداله فى التوزيع) ، أو العكس، ويمكن تشبيه هذه العلاقة بالمخطط التالى :

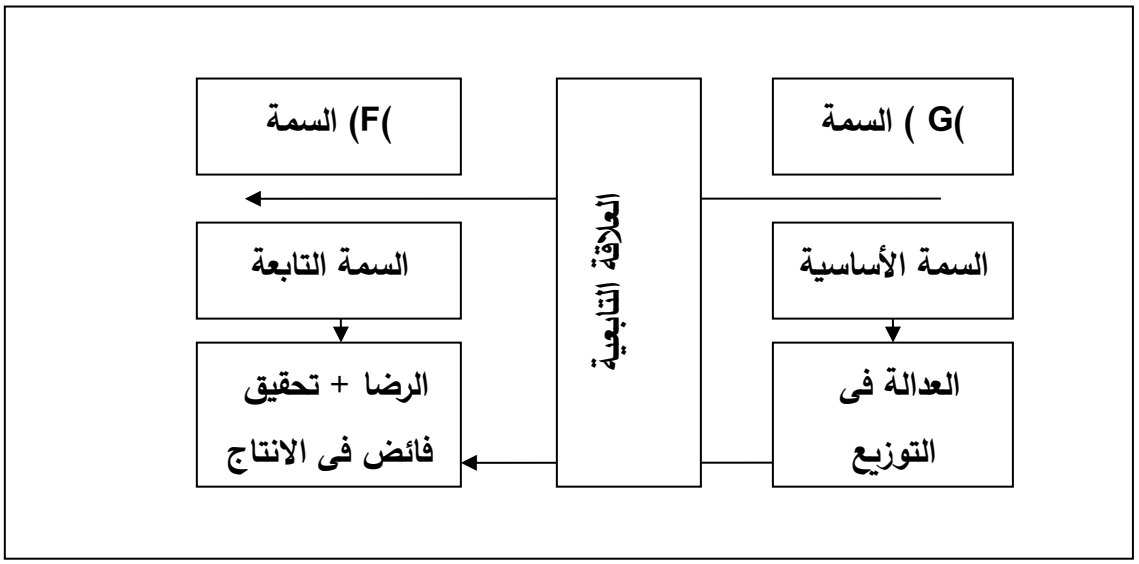

وليس معنى التعريف السابق أن تُعد أى من السمات الأخلاقية أو الطبيعيه هى الأساس ونقيضها هو التابع ، وإنما يتوقف ذلك على صحة النظرية المفسرة للموقف ذاته ، حيث إنه إذا توصلنا إلى أفضل النظريات التى تحدد الكيفية التى تتفوق بها السمات الأخلاقية على السمات الطبيعية بالنسبة للفرد، فليس معنى ذلك أن تلك النظرية يمكن تطبيقها تلقائيًا على الحالات الاجتماعية ؛ نظرًا للاختلافات البيّنة بين الأفراد بعضهم ببعض داخل المجتمع الواحد هذا من جانب ، ومن جانب آخر ظروف المجتمع نفسه التى قد تعيق بعض الأفراد عن تحقيق أهدافهم ، لذا ليس هناك طريقة مُثلى للتعامل مع هذه المشكلة ، فقد نلجأ أحيانا إلى النظريات الأخلاقية ، وأحيانًا آخرى إلى النظريات الطبيعية ، فالموقف هو الذى يحدد أيهما الأساس وأيهما التابع.

ويؤكد " برينك " على ذلك بقوله:

" إن تحديد أى من السمات الأخلاقية يفوق أيًا من السمات الطبيعية أمرُ خلافى وفقًا للنظريات الأخلاقية المختلفة ، تمامًا كما أن تحديد أى من السمات الاقتصادية يفوق ويؤثر فى أى من السمات الاجتماعية والسيكولوجية يعد أمرًا يختلف تقديره باختلاف النظريات الاقتصادية". (Brink,1989,P.175)

لذا أصبح من المهم فحص النظريات التى نعتمد عليها حتى نتمكن من الوصول إلى أفضل نظرية أخلاقية مثلاً تفسر معتقداتنا ويقول " برينك: " **" إن تحديد أى الرؤى التابعية هى الأفضل سوف يعتمد على تحديد أى من النظريات الأخلاقية التى تقدم تفسيرًا لكل معتقداتنا سواء الأخلاقية وغير الأخلاقية". (Brink,1989,P.121)**

من الواضح أننا الذين نضفى على النظرية الأخلاقية أهمية وقيمة ، وليس العكس ، أى ليست النظرية هى التى تحدد ، وذلك من خلال " ردة فعلنا تجاهها " ، فميكانيزم " رد الفعل " يمكننا من التركيز على الإنماط الطبيعية التى نشير إليها طوال الوقت من خلال استخدام مصطلحات أخلاقية ، حيث نحاول تبسيط وتفسير هذه المصطلحات بمقارنتها بمواقف فى الطبيعة.

لكن فى حقيقة الأمر إن أمل الوصول إلى أفضل نظرية أخلاقية لا يخلو من الإشكاليات ، فنحن ببساطة لا يمكن أن نفترض أن أفضل نظرية أخلاقية يمكن الوصول إليها بالكيفية نفسها التى توصلنا من

خلالها إلى أفضل نظرية علمية، ففى حالة النظرية العلمية نحن نعتمد على نجاحها كى ندعم مصداقيتها، وبالرغم من ذلك لا يوجد وجه للشبه بين النجاح العلمى والنجاح فى الأخلاق .

ومن ثم يناقش كلٌ من "بيتر رايلتون "، و" ألان جيبارد ، و"ستيفن دارويل (1946م –) Darwell,S " (*) هذه المعضلة:

" دائمًا ما تتم الاشارة إلى العديد من أوجه الاختلاف فى الانجازات Accomplishment الواقعية فى مجال التطور النظرى للعلم مقارنة بالأخلاق ... حيث إن عدم وجود إجماع وانجاز فى مجال الأخلاق يتعارض مع فكرة إعطاء ثِقل أو وزن معرفى ظاهرى للمعتقدات الأخلاقية ". (Darwall,1992,P.173)

فالاختلافات التى توجد فى النظريات الأخلاقية لا يقلل من وزنها المعرفى ، فبالرغم من رؤية "دارويل" السابقة الرافضة للمشابهة بين النظرية العلمية والأخلاقية ، إلا أن هناك " نيقولاس ستورجين" أحد أتباع "واقعية ـــــ كورنيل " يخالف "دارويل" فى ذلك؛ ويدافع عن فكرة المماثلة والمشابهه بين هاتين النظريتين ويقول :**" صحيح إن المبادىء الأخلاقية ــ كأن يعد الفعل الأخلاقى خاطئًا إذا لم يُحدث لذة أكبر ــ تفتقر إلى التضمينات التجريبية ، وذلك عندما ننظر إليها فى ذاتها بشكل منفرد أو منعزل عن التجربة. هذا بالرغم من سهولة اشتقاق النتائج التجريبية منها وبالتالى اختبارها بالتجربة. ولكن إذا أمعنا النظر ـ كما نفعل فى الحالة العلمية ــ بأن نعتمد على خلفية من الافتراضات الآخرى المتعلقة بحالات مشابهة ، وبالتالى إذا ربطنا مبدأ منفعة الفعل مع الرؤية السابقة ـــــ غير القابلة للاختبار بمفردها ـــــ والتى تشير إلى أنه من الخطأ دائمًا قَتْل إنسانًا عمدًا. لأمكننا استنتاج من هاتين المقدمتين معًا أن قتل إنسانًا عمدًا دائمًا ما يؤدى إلى لذة أقل ، وخاصة إذا ما تمت مقارنة هذا الفعل بفعل آخر بديل، ولعل هذا الادعاء يمكن أى وضعى من أن يدرك كيفة اختباره على الأقل من حيث المبدأ". (Sturgeon,1984,P.51)**

ومن ثم نستنتج أنه من الصعب الحصول على أفضل نظرية أخلاقية ، وهذا مما اختلف حوله بشدة الواقعيون الأخلاقيون (خريجو جامعة كورنيل) ، حيث لم يستطيعوا البرهنة على ذلك ، حتى إذا نظرنا إلى محاولة "ستورجين" السابقة وتمعنا فيها ؛ نجده أيضا لم يشر إلى أفضل نظرية أخلاقية يجب اتباعها أكثر من دعمه لنظرية " نفعية الفعل ". لذلك يمكن الجزم بأن محاولة (خريجو جامعة كورنيل) الوصول إلى أفضل نظرية أخلاقية تظل محل شك.

وبعد أن انتهينا إلى صعوبة الوصول إلى أفضل نظرية أخلاقية تمكننا من البرهنة على أى من السمات الأخلاقية أو الطبيعية يفوق الآخرى ، نعود مرة آخرى إلى رؤية " برينك " فى تحديد العلاقة

(*) دارويل : أستاذ الفلسفة بجامعة " ييلYale " فيلسوف أخلاقى معاصر ، أُشتهر بأعماله فى تطوير كتابات " كانط " وبخاصة الأخلاق ، تخرج عام 1968م فى جامعة ييل ، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة في جامعة بيتسبرج في عام 1972م . بدأ مسيرته التعليمية في جامعة نورث كارولينا ، تشابل هيل في عام 1972 م، ثم التحق بقسم الفلسفة بجامعة ميتشيغان، كان أستاذًا متميزًا بجامعة جون ديوي. زميلا في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم منذ عام 2001. وهو متخصص في أسس وتاريخ الأخلاق. ـــ من أهم مؤلفاته:

ـــ "الأخلاق الفلسفية Philosophical Ethics (1998م)

-" الأخلاقية ،السلطة والقانونMorality, Authority, and Law " (2013م).

(Cp; https://philosophy.yale.edu/people/stephen-darwll)-تاريخ الدخول 1/8/2018م

التابعية بين السمات الأخلاقية والطبيعية والتى أشرنا إليها سابقاً. وقلنا إن المقصود بالتابعية هو وجود سمات أساسية يتبعها لاحقًا سمات تابعة لها من الممكن أن نطلق عليها سمات ثانوية.

لذلك يرى " برينك " أن التفسير التكوينى(*) السابق للسمات الأخلاقية والطبيعة يؤكد تابعية السمات الأخلاقية إلى السمات الطبيعية ويقول عن ذلك: **" أحد الأسباب التى تجعل السمات الأخلاقية تتبع السمات الطبيعية هى أنها تتألف من ــ ولا تتطابق مع ــ ترتيبات مركبة من السمات الطبيعية . وفى ضوء هذه الرؤية ؛ فإن السمات الأخلاقية بالنسبة للسمات الطبيعية تشبه علاقة التمثال بالبرونز المصنوع منه ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهناك معنى لا تفوق فيه السمات الأخلاقية على السمات الطبيعية التى تتبعها : فالسمات الطبيعية لموقف ما هى التى تحدد سماته الأخلاقية . والسمات الأخلاقية لموقف ما لا حاجة بنا لإضافتها بشكل تفصيلى إلى السمات الطبيعية لهذا الموقف ".(Brink,2001,P.157)**

*** يمكن تلخص موقف " كورنيل " من مفهوم " التابعية " فى الآتى :

1. يرى أتباع كورنيل أن العلاقة التابعية هى علاقة قانونية بين السمات الأخلاقية الطبيعية.
2. كما يرون أن السمات الطبيعية تفوق السمات الأخلاقية، إلا أن ذلك يتوقف تحديده وفقا لصحة النظريات الأخلاقية التى تعمل على تبرير كاقة المعتقدات الأخلاقية والطبيعية.
3. تعمل " كورنيل " على تعضيد فكرة المماثلة بين النظرية العلمية والأخلاقية ، وذلك من خلال التضمنيات العلمية والتجريبية التى تبرر النظريات الأخلاقية ، إلا أننا نختلف فى ذلك من خلال عرضنا السابق لفكرة " الملاحظة."
4. هناك نوعان من التابعية: التابعية القوية ، التابعية الضعيفة.
5. التابعية القوية: القائمة على الضرورة القانونية القوية ، حيث ترى " كورنيل " أن السمات الأخلاقية تتبع بشكل قوى السمات الطبيعية ، وهذا ما ينسحب على كافة العوالم الممكنة، وهذا النوع من التابعية يتفق مع رؤية التطابق التى كنا قد رفضناها بسبب اختلاف طبيعة الاثنين عن بعضهما البعض ، فإذا نظرنا إليهما من خلال الملاحظة نجد الملاحظة العلمية تختلف عن الملاحظة الأخلاقية ، ولخير دليل على ذلك مثال "قطاع الطرق وحرق القط" السابق ذكره.
6. التابعية الضعيفة: فهى قائمة كذلك على علاقة قانونية بين السمات الأخلاقية والطبيعية ولكنها ليست علاقة ضرورية ، وهذا النوع من التابعية يتفق مع رؤية التأليف بين السمات الأخلاقية والطبيعية وليست التطابق.

(*) قد يشعر البعض بعدم الارتياح والانزعاج ـــ من بينهم الباحث ـــ من رؤية " واقعية كورنيل " أو " برينك " عن تكوين السمات الأخلاقية من خلال السمات الطبيعية، وخاصة إذا كنا معتقدين دائمًا بصعوبة الاتحاد بين طبيعة عالم القيم، والأخلاق ، وعالم الطبيعة. ولكن حتى نكون منصفين يجب أن نطلق أحكامنا على " واقعية كورنيل " من خلال منهجهم هم فقط ، فهم يؤمن بفكرة تطبيع الأخلاق من خلال الاعتماد على التأويلات العلمية التجريبية ، بالإضافة إلى إيمانهم بأن الأحداث والمواقف الطبيعية التى يمر بها الانسان هى التى تكون الأساس ، ثم إصدار أحكامًا أخلاقية حولها هو التابع، فعلى سبيل المثال : عندما يقتل شخص فردًا ما ، فبالتإلى نصدر حكما بأن قيمة هذا الفعل غير أخلاقية . ومن خلال ذلك يرى أتباع " واقعية كورنيل" أن أساس الموقف الذى حدث فى الطبيعة ثم تابعه هو حكمنا الأخلاقى عليه . ومن ثم تتكون الأحكام الأخلاقية من الطبيعية. ـ فالتكوين هو الدال على التابعية وليس التطابق ، حيث إن المعنى المجرد للتطابق لا يدل على تابعيه شىء لشىءٍ آخر وانما يدل على الواحدية ، أى أن الفعلين أصبحا شيئًا واحدًا(.**الباحث**(

(د) تقييم مفهوم " واقعية كورنيل " للتابعية :

لقد ناقشنا سابقًا اعتقاد " واقعية كورنيل " بتابعية السمات الأخلاقية للسمات الطبيعية ، على الأقل يمكن أن تكون هذه التابعية بشكل ضعيف وليس قوى ، نظرًا لعدم وجود نظرية أخلاقية مقنعة تستطيع تفسير هذه العلاقة . وبالرغم من رؤية " واقعية كورنيل " للسمات الأخلاقية ، إلا أن هناك العديد من الانتقادات يمكننا توجيهها إليها ومنها الآتى:

النقد الأول: يزعم "برينك" أحد أقطاب "واقعية كورنيل" أهمية رؤية التكوين من خلال قوله بأن السمات الأخلاقية لا نزيد عن كونها مجرد مجموعات من السمات الطبيعية .

هذا التفسير لا يعد تفسيرًا مقنعًا للتابعية الأخلاقية ، بل الأكثر من ذلك من الممكن أن نعد هذا التفسير بمثابة تقويض للأخلاق ؛ حيث إن " واقعية كورنيل " اعتبرت الأخلاق عدت مجرد رؤية وظيفية للسمات الطبيعية. كما نعد الألم أحد إنماط السمات العقلية ؛ فعند تطابق سمة الألم العقلية مع حالة داخلية ما يتم وصفها فى ضوء العلاقات السببية التى تدخل فيها .

وإذا اتفقت " واقعية كورنيل " مع هذا الرأى ، وقالت بأن الأخلاق أصبحت ذات طابع وظيفى للسمات العقلية ؛ لكانت عرضة لنقد آخر وهو: إن معنى اعتقادها بوظيفية الأخلاق أنها جعلت السمات الأخلاقية تتطابق مع السمات الطبيعية ، ولا تخضع للتأليف ، كما انتهى "برينك" ، وفى ذلك يستطرد "بوتنام : " **" من غير المألوف القول إن الألم بمثابة استثارة للألياف النحاسية Copper Fibers . فإذا قلنا ذلك؛ فعلينا القول أيضا إن الألم شىء مختلف تمامًا فى الآلة (A) عن الآلة (B) وخاصة إذا كانت الآلة (A) تشتمل على ألياف ألم نحاسية ، بينما تشتمل الآلة (B) على ألياف بلاتينية . ويبدو أنه من الأوضح أن نقول ما سبق قوله ، وهو إن الألم حالة تتعرض لها الآلة نتيجة تلف فى جسم الآلة ، ويتسم بأنه يكون مصحوبًا بميل إلى كذا أو كذا... الخ . ولتوخى الحذر فى الصياغة ، يمكن القول إن الألم يتطابق تركيبيًا مع عملية استثارة الألياف النحاسية ".(Putnam,1967,P.420)**

من الواضح أن الرؤية الوظيفية توحى بالتطابق وليس بالتأليف ، فالسمة العقلية (كالألم) مثلاً تتطابق مع وجود نمط معين من الحالات الداخلية قد تتحقق بعدة طرق مختلفة. ففى فلسفة العقل(*) نلحظ أن الوظيفية تتضمن ادعاء بتطابق: **" لاحظ أن الوظيفية فى فلسفة العقل تتضمن تطابقًا بين السمات العقلية والسمات الوظيفية ، علمًا بأن هذه الأخيرة قابلة للتحقق بواسطة العديد من السمات الطبيعية من المستوى الأدنى والأكثر ضيقًا.".(Timmons,1999,P.43)**

كما أن أتباع "واقعية كورنيل" وعلى رأسهم "برينك" يعرضون رؤيتهم عن السمات الأخلاقية على غرار وظيفة السمات العقلية عند "بوتنام"، فإنهم ملتزمون عند استخدام مصطلحى (حق وصواب). استخدامه بشكل وظيفى ، فالفعل يكون صوابًا إذا حقق أقصى رفاهية للإنسان

(*)فلسفة العقلPhilosophy of Mind : هى فرع من فروع الفلسفة وتنقسم إلى مبحثين : مبحث عن العقل عامة ، ومبحث عن أجزاء العقل . مسائل المبحث الأول تدور حول طبيعة العقل وحول العلاقة بين العقل والأشياء مثل الجسم والآلات والطبيعة والحيوانات والآلهة . كما تدور حول مكونات العقل مثل القدرات والاستعدادات والأفعال والأحوال والعمليات . أما المبحث الثانى فيدور حول المفاهيم العقلية مثل المعرفة والفهم والتفكير والاعتقاد والذاكرة والإدراك والخيال، وعلى مفاهيم الإرادة مثل القرار والاختيار والقصد والرغبة والإنفعال ، وعلى مفاهيم الإحساس مثل الغضب والخوف والملل واللذة والرغبة والألم .
ــ (وهبه ،200م ، ص 474).

" ووفقًا للوظيفية الأخلاقية التركيبية ، يتم تفسير المصطلحات الأخلاقية على أنها انتقاء سمات وظيفية معينة يتم الكشف عن جوهرها من خلال تعميمات النظرية الأخلاقية التركيبية (Horgan,1992,P.242)."

لكن بالرغم من كل تلك الآراء السابقة سواء المتفقة أو المعارضة للتطابق أو للتأليف، فإن (الباحث) يختلف معها جميعًا؛ نظرًا لاختلاف السمات الميتافيزيقية الأخلاقية غير الخاضعة لحيز "الزمان ـ المكان" عن السمات الطبيعية. كما نتفق فى أن السمات الأخلاقية تستمد علوها وتفردها عن السمات الطبيعية من طبيعتها "اللا ـــ زمكانية". ولكن إذا اتفقنا فى شيء مع "واقعية كورنيل" ، فاننا نتفق فى تابعية السمات الأخلاقية للسمات الطبيعية من أجل تبسيط وتقريب الرؤى غير الزمانية ـــ المكانية .

النقد الثانى: تؤمن " واقعية كورنيل " بالعلاقة بين " التابعية " و" الضرورية " ، وانعكاس هذه العلاقة على كل العوالم الممكنة .

لننظر إلى مثال " قطاع الطرق والقط المحترق " فمن المعروف أن هذا الفعل غير أخلاقى وغير مناسب لكافة العوالم الممكنة ، حيث إنه لما كانت السمات الأخلاقية تابعة للسمات الطبيعية أو تتشكل بواسطتها ، إذن فالحكم الأخلاقى يأتى متسقًا مع السمات الطبيعية وأن هذا الفعل غير أخلاقى فى كافة العوالم الممكنة ، ويذكر " نيقولاس ستورجين" فى ذلك :

" فلكى نتخيل أنهم يفعلون شيئًا شاذًا عما هو مألوف لدينا وأن فعلهم السابق أخلاقى، علينا أن نفترض أن فعلهم هذا يختلف عن الفعلى الواقعى من حيث بعض سماته الطبيعية أيضا ، وبالتالى فهذا لا يحدث على الإطلاق ."(Sturgeon,1984,P.66)

الشيء الوحيد الذى لا يجعل فعلهم خاطئًا هو أن يحدث فى عالم بديل على أن يكون مختلفًا فى سماته الأساسية الطبيعية عما هو موجود بالفعل، فمن المستحيل تخيل موقف تكون فيه أفعال قطاع الطرق متماثلة فى سماتها الطبيعية ولكنها ليست خاطئة... إن حقيقة التابعية الأخلاقية المسببة للملاحظة التى تشير إلى أن أفعال قطاع الطرق خاطئة يمكن تحققها فقط داخل نطاق معين من العوالم وهو العالم الذى نعيش فيه، هذا العالم الذى ننظر إليه عند تقييم ما إذا كانت هذه الحقيقة مناسبة تفسيريًا لاعتقادنا بأن أفعالهم خاطئة أم لم تكن كذلك، وليست كل العوالم. إن الاعتقاد فى تحقيق هذه النتائج التى ساقتها "واقعية كورنيل" فى كل العوالم يعد ضربًا من ضروب الخيال، لأنه يعد استقراءً ناقصًا.

*** صفوة القول : إن الانتقادات التى سقناها سابقًا لا تقلل من شأن " واقعية كورنيل " المناقضة لرؤية " مور " عن الأخلاق ، وإصلاح أوجه القصور التى واجهت نظريته . حيث جعل من الخير شيئًا متفردًا لا يمكن تعريفه من خلال مفاهيم طبيعية . إلا أن " واقعية كورنيل " رأت أن الوقائع التقيمية والأخلاقية يمكن أن تتطابق بشكل فعلى مع الوقائع الطبيعية ، بالرغم من عدم وجود عبارات أو قضايا تحليلية تربطهما بالشكل الذى يتطابق به " الماء " مع " H2o " من خلال النظريات العلمية . وهذا النمط لا يمكن لحجة السؤال المفتوح لـ " مور " استخدامه من أجل تفنيد هذه الوقائع بشكل خاص ، ومن ثم يعتقد ــ بيتر رايلتون ـــ أن لهذا المنهج الذى اتبعته " واقعية كورنيل " أهميتين رئيستين:

الأولى : تفوقها على النظرية الانفعاليه من خلال إيجاد تفسير مناسب للارتباط بين العبارات التقييمية التى تم تفسيرها وبين قوتها الوصفية . وذلك من خلال ربط الوقائع الأخلاقية بالطبيعية عبر النظريات العلمية وتجاربها المختلفة.

الثانية: إبراز أهمية السمات الموجودة فى البناء الطبيعى للمفاهيم التقييمية والتى تعمل على تفسير تطور القيم عند الفرد (بالنسبة لعبارات القيمة غير الأخلاقية Non –Morals) من خلال الوصول إلى نوع معين من الأخلاق المجتمعية (بالنسبة لحالة القيم الأخلاقية) . وبالتالى يقدم ـ رايلتون هنا ـ فهمًا لعبارت القيمة غير الأخلاقية من خلال القيم الأخلاقية ؛ لأنه يعدها بمثابة رؤية توضيحية لما يجرى من ممارسات تقييمية متعلقة بالخير الخاص بالفرد**(Railton,1989,P.168)**.

(ثالثًا) :ـــ مكانة القيم والأخلاق عند" بيتر رايلتون " .

يعد " رايلتون" ـ كما أشرنا سابقًا ـ أحد أتباع "واقعية كورنيل". إلا أنه بالرغم من كونه أحد أتباعها فهو لا يتفق معها على الدوام فى كافة أفكارها بل يتفق معها أحيانًا ويختلف معها أحيانًا آخرى؛ فهو يعتقد أن الأحكام الأخلاقية تحمل قيم الصدق فى حد ذاتها، وأن الخصائص الأخلاقية تتبع الخصائص الطبيعية ، ويختلف معها فى فكرة علوها فقط. فيرى أن البحث الأخلاقى هو الشيء نفسه بالنسبة للبحث الطبيعى (المذهب الطبيعى)، ويعتقد رايلتون كذلك أن التفكير العقلانى يخفق فى الكشف عن السبب الحقيقى وراء طاعة الأوامر الأخلاقية بالرغم من تطبيقها على العالم الخارجى المحيط به. لذا يعتقد "رايلتون" أن مواقفه تجاه هذه القضايا جعلته يستحق لقب ممثل **" الواقعية الأخلاقية المفرط "**(*). **(Railton,1986,P.165)**

ومن ثم يتضح وجود بعض الاتفاقات والاختلافات بين "رايلتون"و "واقعية ـــ كورنيل" كالتالى:

1. تؤكد " كورنيل " على مبدأ " اللا ــ رد " ، حيث إن الخصائص الأخلاقية تعد خصائص طبيعية بل تعلو عليها . إلا أن " رايلتون " كان على النقيض من ذلك وأعتقد فى "مبدأ الرد"، حيث عمل على رد الخصائص الأخلاقية إلى خصائص غير أخلاقية(**) ،ورأى أن تبريرنا لهذه الخصائص غير الأخلاقية إنما هو بمثابة تأكيد للوقائع الأخلاقية ذاتها. لذا يعتقد "رايلتون" أن الخصائص الأخلاقية موضوعية وكذلك عقلانية .(***)
2. بينما يتبنى أتباع "واقعية ـــ كورنيل" "فكرة الاستدلالIntereferance " ، وذلك من أجل التفسير ـــ وهو نابع من اهتمامهم بالنهج العلمى ـــ فإن ذلك بمثابة معالجة واقعية للمارسات البشرية، الا أن "رايلتون" لا يعتمد على الاستدلال أكثر من اعتماده على "الرد" وخاصة من خلال رد وقائع القيم الأخلاقية إلى وقائع القيم غير الأخلاقية. وهذا المبدأ لا يتأثر بالإشكاليات التى قد وُجهت "لواقعية ـــ كورنيل" من خلال وجود بعض الأفكار العلمية التى تختلف عن الأخلاق مثل فكرة "الملاحظة"؛ فهو لا يعول عليها كثيرًا.**(Miller,2003,P.182)**

وعلى أى حال سنحاول التطرق إلى معرفة المبادىء والأسس العامة التى اعتمد عليها "رايلتون" فى نظريته للقيم الأخلاقية، بالإضافة إلى ماهية وقائع القيم الأخلاقية وسبل "ردها "

(*) " Stark,Raving Moral realist "

(**) بالرغم من قبول " رايلتون " لرد القيم الأخلاقية إلى قيم غير أخلاقية إلا أنه لم يكتف بذلك بل عمل على ردها أيضًا إلى خصائص وسمات طبيعية وهذا ما ظهر فى كتابه " الواقعية والقيم " .

(***) سنفسر ذلك لاحقًا عند حديثنا عن طبيعة القيم عند "رايلتون".

(أ) الأسس العامة فى نظرية القيم الأخلاقية عند "رايلتون":

بدايةً لقد عُد "رايلتون" من أتباع "واقعية ــ كورنيل" نظرًا لاتفاقهما حول أن الوقائع والسمات الأخلاقية سمات طبيعية يمكن الكشف عنها أو دراستها من خلال العلوم التجريبية. وفى ذلك يقول:" **إن إعادة الصياغة الطبيعية تشبه إعادة الصياغة التجريبية لبعض الأفكار مثل:المادة الفيزيائية، والقانون الطبيعى والعلّيه. كما أن الصياغة الطبيعية فى حد ذاتها لا تغطى كل سمات ووظائف الخطاب الأصلى، وبالتالى فإنها ستبدو شاذة عن بعض عناصر المعانى المفهومة بشكل عام للكلمات المستخدمة فى ذلك الخطاب، لذلك تحتاج إلى التفسير من أجل التبسيط وهذا ما ينطبق على الأخلاق أيضًا." (Railton,1993C,P.282)**

ونتيجة لهذا التشابه يؤمن "رايلتون" بوجود أنواع مختلفة من الطبيعية؛ خاصةً الطبيعية الأخلاقية نظرًا لتنوع تفسيراتها المختلفة، لاقترانها بالعلوم التجريبية ولعل أبرزها:"المذهب الطبيعى المنهجى Methodological Naturalism" و"المذهب الطبيعى التركيبى Synthetic Naturalism"(***) ويعد "رايلتون" جامعًا بين النوعين من المذهبين؛ حيث رأى أن الأخلاق هى إحدى صور البحث العقلانى التى توجد عند المستوى الاستبطانىIntrospective المألوف، وكذلك المستوى الفلسفى مقارنةً بالعلوم الطبيعية، ولكنها فى الوقت ذاته ينبغى أن تأخذ بنتائج العلم.**(Railton,1993a ,Pp.45-46)**

وهذا التفسير ينسحب على المذهبين السابقين حيث نلحظ فى الموقف الطبيعى التركيبى مثلاً من خلال رؤية "رايلتون" بتطابق "الخير الأخلاقىMoral Good " مع "الخير غير ــ الأخلاقى Non-Moral Good"(**) ،حيث إنه من خلال رد "الخير الأخلاقى" إلى "اللا- أخلاقى" نستطيع ممارسة الفعل الأخلاقى والوصول من خلال هذه الممارسة الأخلاقية إلى تحقيق الرفاهية والمنفعة على نحو محايد**(Railton,1993C,P.282)** .

(***) يَعدُ المذهب الطبيعى الأخلاقى المفهوم الخاص بشىء ما أو مجال بحثى ما بما فيها الأخلاق، يتسق مع رؤية العالم المادية والعلمية المعتادة . وفقًا لهذه الرؤية فإن الأشياء والسمات والأحداث الموجودة فى العالم هى عناصر مادية تخضع للتفسير العلمى. ومن ثم أضحت الطبيعية الأخلاقية مهتمة بتطبيق نتائج العلم على الأخلاق.

ـ ولقد نتج عن هذا المفهوم عدة أنواع من المذهب الطبيعى أبرزها:المذهب الطبيعى والمذهب الاتساقى والمذهب التركيبى والمذهب المنهجة تجتمع هذه الأنواع فى اتساق وتناغم بشكل جيد مع المذهب الطبيعى الأخلاقى. بمعنى آخر ؛ إن مفهوم الخير الأخلاقى يساوى ما نرغب فيه بشدة ونحن بكامل إرداتنا. لذا ما يجعل الفعل صحيحًا هو أن يحظى بتأييد فئة القيم الأكثر اتساقًا فى المجتمع. لكن فى حقيقة الأمر ليست هاتان السمتان فقط هما ما يظهران من خلال المذهب الطبيعى بأنواعه المختلفة سابقة الذكر، وإنما المحمولات الأخلاقية طبقًا للمذهب الطبيعى لها معنى آخر إلى جانب القبول والرفض ؛ فهى عادة ما تعبر عن اتجاهات المتحدث ورغباته لذا ترتبط بشكل منطقى بالاهتمام برفاهية الآخرين ، وبإجماع المجتمع على أفضل طرق السلوك المرغوب فيه بالنسبة لكل أفراد المجتمع . ومن ثم يرى كلٌ من " دارويل " و " رايلتون " ، أن السؤال الخاص بالمذهب الطبيعى هو ما اذا كان هذا الارتباط مسألة معنى (تحليلى)أو(تركيبى).

(Cp; Darwall,1992,P.174),(Cp also;Lemos,1986,P.50).

(**) يرى البعض من بينهم " رايلتون " بأن الحدود الأخلاقية يمكن تعريفها من خلال حدود طبيعية لا أخلاقية – Non Morals (بمعنى أكثر تحديدًا تعريف الايثار من خلال مفهوم الأنانية) ، وهذا التطابق ليس تطابقًا خفيًا كى نكتشفه من خلال البحث التجريبى أو العلم ، وإنما هو واضح تمامًا فى لغتنا العادية ومفاهيمها المختلفة. فالسمات غير الأخلاقية هى بمثابة تفسير لسبب تأصل السمة الأخلاقية فى الفعل ، ومن ثم يمكن القول ــ تبعًا لفكرة تابعية " واقعية كورنيل ــ أن السمات الأخلاقية بالفعل تتبع السمات غير الأخلاقية ، لأنه لن يكون هناك اختلاف أخلاقى ، ما لم يكن هناك اختلاف غير أخلاقى يمثل سببًا لوجود الاختلاف الأخلاقى ـ وهذا ما سيتضح لاحقًا ـ .

إذن تعد هذه العلاقة علاقة مركبة، فهى تجمع بين الفرد وبين المجتمع، فحتى نصل إلى رفاهية الفعل الأخلاقى الفردى، فلا بد من المرور بنقيضه واتفاق الجميع حوله، ولا يظهر هذا الاتفاق بمحض الصدفة؛ لذا يقول "رايلتون" عن المرور بهذه التجربة:

" إن تطوير نظرية ما فى الأخلاق لا يعد اختراعًا مصطنعًا Artifical توصل إليه الفلاسفة بمحض الصدفة، وإنما هو نتيجة أساسية للاستخدامات والاستعمالات الشخصية والاجتماعية للتقييم الأخلاقى: فالأفراد والجماعات بمرور الزمن قد واجهوا تساؤلات أخلاقية صعبة أجابوا عنها من خلال الحس المشترك للجميع باجابات متعارضة وغير مرضية ، لذلك قاموا فى النهاية بجمع هذه التساؤلات والاجابات وواصلوا البحث بشكل أكثر تنظيمًا ". (Railton, 2003,P.34)

ومن ثم يؤكد " رايلتون " على ضرورة الاهتمام بكل النظريات السابقة ، لأنها تعد نواه رئيسة فى نقاشنا حول الأخلاق ، وهذا ما انعكس بشدة على الأسس التى اعتمد عليها فى تأسيس نظريته للقيم الأخلاقية وهذه المبادىء هى : 1.مبدأ الرد 2.مذهب التداعى المركب.

(1) مبدأ " الرد Reduction "(*):

يرى المؤيد ــ بصفة عامة ــ لمذهب الرد أنه لكى يتم رد نوع معين من السمات (A) إلى نوع آخر من السمات(B) يجب إثبات أن (A) ماهى إلا (B) ، وباظهار هذا التطابق بين(A) و(B) يستطيع الفرد تفسير (A) من خلال (B) ذى المكانة المميزة. فمثلاً نقول: إن ("الماء" هو"H2o") ، وإن ("الجينات" ما هى الاجزيئيات (DNA))، و("الحرارة" هى "متوسط الطاقة الحركية الناتجة عن الحركات الجزيئية"). وبتطبيق ذلك على القيم الأخلاقية عند "رايلتون" نجده يحاول رد كلٌ من القيم الأخلاقية إلى القيم غير الأخلاقية، والعكس صحيح، وذلك من أجل الوصول إلى تعريف كلاً منهما ــ فعلى سبيل المثال ــ يعرف "رايلتون" قيمة "الخير للفرد"، ورغباته وما يريده لنفسه؛ من خلال توافر المعلومات الكامله لديه ذلك من خلال تعأونه مع باقى أعضاء المجتمع. **(Railton, 2003,P.54)**

وطبقًا لذلك ؛ يتمثل الخير الحقيقى للفرد فى تحقيق ما قد يرغب فيه الفرد لذاته فى ظل الظروف المثالية المتاحة أمامه . بمعنى آخر تحقيق الفرد لذاته (فالرغبة فى السعى هى أحد أوجه تحقيق الخير) وذلك من خلال تحقيق ذاته الواقعية المشتركة فى المجتمع **(Railton, 2003,P.54)** .

ولتوضيح أكثر لمبدأ الرد عند " رايلتون " ينبغى النظر إلى قوله عن تعريف " القيم الأخلاقية " من خلال القيم " اللاــ أخلاقية "؛ فالقيم اللا ــ أخلاقية عند فرد ما تتكون من رغبته فيما يريد هو أن يكون عليه **(Railton, 1986,P.177)** .وهذا يفترض أن الأفراد فى البداية لا يعون ما يفعلون ، وخاصة إذا أدركنا أن المنهج الذى نتبعه هو تعقب رغبتنا ، وبلغة رايلتون " مصالحنا الذاتيةSelf-Interests " ، لكن هذه الاهتمامات ربما لا تعكس ماهية الخير لنا جميعًا.

ويلاحظ رايلتون فى ذلك : **" أن مصالحنا الذاتية فى كثير من الأحيان تعكس الجهل بها ، وهذه الحقيقة التى أوضحها ، وهى أنك عندما ترغب فى شىء ما ، فلا بد أن تكون على معرفة أو علم بها حتى يكون ذا صفة مميزة لك ".(Railton, 1986,P.173)**

إن ما يود "رايلتون" قوله إن الفرد فى بداية فعله لا يعى ما الخير الحقيقى بالنسبة له، وهذه المرحلة يسميها "رايلتون" بالخير ــ غير الأخلاقى ، حيث تتميز بأن الفرد يلهث وراء رغباته فقط ، أو مصالحه

(*) لقد اتخذه" رايلتون " أساسًا للدفاع عن رؤيته الطبيعية الأخلاقية إلا أنه مؤخرًا فى عام (1995م) اكتشف أوجه القصور فيه ، وأصبح مؤيدًا لمبدأ "عدم الرد Non-Reduction"- وهذا ما سنحاول إظهاره لاحقًا ــ

الذاتية. بالإضافة إلى أن هذه المرحلة تتميز بالقصور التام فى المعلومات والمعرفة. أما عندما ينتهى الفرد من تحقيق هذه الرغبات وبلوغ الخير له من خلال استخدام عقلانيته الأداتية ، والمعلومات الكاملة فى ظل الظروف المثالية ، فهو بذلك يحقق القيم الأخلاقية التى تنسجم فى النهاية مع القيم المشتركة للمجتمع ككل.

ويفسر " رايلتون ذلك من خلال الأمثلة التالية **"قدم إلى العامل (A) .. معرفه كاملة وطاقات خيالية ومعلومات واقعية كاملة سواء عن تكوينه الفيزيائى، والسيكولوجى، وتاريخه. ... الخ. فبالتالى سيتحول (A) إلى (+A) الذى لديه معرفه كاملة عن نفسه، وعن بيئته، ولديه العقلانية الأداتية Instrumental التى تجعله يستطيع تحقيق مصالحه الذاتية".**(**) **(Railton, 1986,Pp172-173)**

إن مصلحة العامل(A)) فى البداية كانت مصلحة ذاتية، وبمجرد ما أصبحت المعرفة لديه كلية وكاملة تحولت من مصلحة ذاتية إلى مصلحة موضوعية (+A) . ومن ثم تعد معرفة (+A) المتعلقة بالقيم الأخلاقية ذات الطابع الموضوعى بمثابة أساس للرد (A) المتعلق بالقيم غير الأخلاقية.

ولتأكيد ما سبق يطرح " رايلتون " مثالاً آخر:

"كان لونى " Lonnie " مسافرًا إلى دولة أجنبية ، وكان يشعر بالتعاسة لأنه كان لديه شعور بالحنين إلى الوطن ، بالإضافة إلى ذلك كان يعانى من بعض الاضطرابات فى معدته ، لم يكن يعرف ما الذى ألم به ، ولكنه وجد نفسه يأخذ كوبًا من الحليب، ولكن سرعان ما ساءت حالته الصحية. ثم ذهب ليشترى زجاجة مياه غازية ، وتناولها ولكن هذه المرة شعر ببعض التحسن على الفور ، رغم أنه لا يزال غير قادر على تحديد مصدر الضيق الذى يشعر به . وفى الحقيقة لقد كان " لونى " يعانى من " الجفاف Dehydration " والذى تزداد حدته مع الحليب ، ولكنه عند تناول السوائل أو المياه الغازية تنتهى آلامه على الفور. فأساس الرد لمصلحته الموضوعية يتضمن وقائع متعلقة بظروفه وتركيبه الذى يحدد ـــ ضمن أشياء آخرى ـــ المذاقات الموجوده لديه ، وقدرته على اكتساب مذاقات جديدة ، ومثال على ذلك النتائج المترتبة على الجفاف المستمر ، تأثير الأنواع المختلفة من السوائل ومدى توفرها... وهكذا. إن أساس الرد هو مجموعة من الصفات الرئيسة التى جعلت لدى " لونى " اهتمامًا موضوعيًا معينًا".(Railton,1997,P.143)

(**) يمكن أن نلتمس وجود وجه لشبه والاختلاف بين " رايلتون " فى رؤيته للقيم اللا ـــ أخلاقية ، و" نيتشه " فى رؤيته لمذهب " اللا ــ أخلاق " Immoralism ،حيث يتفق الاثنان فى نظرتهما للقيم الأخلاقية من الناحية السلبية أو الناحية العدمية ويتخذونها كنقطة انطلاق فى فلسفتهما الأخلاقية . ولكنهما يختلفان فى أسلوب تناولهما لهذه الرؤية السلبية حيث يرى "رايلتون " أن القيم اللا ـــ أخلاقية هى تلك القيم الذاتية الخاصة بالفرد فقط دون الجميع ، فإذا توافرت للفرد ظروف مثالية ومعلومات كاملة وتامة من خلال التعاون مع الآخرين تحولت القيم اللا ـــ أخلاقية الى قيم أخلاقية. أما "نيتشه" فجاءت فلسفته الأخلاقية متسقه مع مبدأه الرئيس " إرادة القوة " ؛ فـ " نيتشه" يعترف بالقيم الأخلاقية السائدة ولكنه يقف منها موقف المخالف العاصى حيث يرى أنها تنطوى على تثبيت السلوك الإنسانى على نحو يباعد بينه وبين مصارده الحيويه المباشرة . فما إن يسود تقييم خاص لماهو خير وما هو شر فإن تصرفات وأفعال الإنسان تخضع فى هذه الحالة لنوع من الآلية ، ناتج عن إطاعة القواعد السائدة وتطبيق القيم المتعارف عليها . لذلك اهتم " نيشته " باللا ـــ أخلاقية ورأى أنها بمثابة خروج عن الأخلاقية عامة أو أنها خروج عن نظام خاص شائع بيننا موروث عن التراث الدينى الأفلاطونى ، والذى ينبغى أن نحذره فى كل هذا هو ألا نفهم هذا الخروج عن الأخلاق بأنه مخالفة لها ، أو دعوة إلى السلوك على نحو مضاد لما تأمر به ، وإنما هو استقلال عنها ، وتقدير للأشياء على نحو يخالف تقديرها لها .

.(انظر، كرم ، ب ت ، ص ص 405ــ412 ،ــ(انظر؛ وهبه ،2007 ، ص 450)

يُبين المثال السابق بأنه يمكن لأى فرد إصدار حكم غير صحيح متعلق بالخير غير الأخلاقى فلقد لاحظنا "لونى" قام بذلك ، حيث كان ممكنًا أن يعرف أنه سيتعرض للجفاف من خلال سؤال بعض المسافرين السابقين عليه، كذلك معرفة أفضل علاج لهذه الحالة. وفى هذه الحالة يمكنه تغيير مصلحته الذاتيةه الخاطئة إلى رغبة فى شرب السوائل النقية. على أى حال توضح الأمثلة السابقة أن ما يرغب فيه الفرد فى الواقع فى ظل ظروف مثالية يتحدد بشكل موضوعى من خلال أساس الرد الخاص به ، فمثلاً حالة الجفاف التى عانى منها "لونى" هى أساس الرد التى يحدد قيمة شرب الماء النقى.

بناءً على هذا التصور يمكن أن نرى أن القيم تتحدد من خلال أسس الرد؛ بالرغم من أن "رايلتون" كان مترددًا فى التصريح بتطبيق ذلك المبدأ على القيم ، وظهر ذلك فى أول مقالتين له عام (1986م): "الوقائع والقيمFacts and Values " و"الواقعية الخلقية Moral Realism"؛ حيث كان مترددًا فى أن يصرح بحسم بأن القيم يمكن ردها أو تعريفها وفقا للسمات الطبيعية، إلا أنه عندما تحدث عن سمات نوع معين من الواقعية الأخلاقية، قام بوصف الرد بأنه شىء يدرس "هل السمات الأخلاقية قابلة للرد إلى كذا وكذا؟ أم أنها بشكل ما مسأوية للسمات غير الأخلاقية ؟. وفى أثناء نقاشه للواقعية الأخلاقية فى المقالة نفسها قال بأن **"السمات الأخلاقية تتبع السمات الطبيعية ويمكن أن ترد إليها". (Railton,1997,P.138)**

وبالرعم من هذا التردد إلا أن "رايلتون" أكد على موقفه الردى فى مقالته " المذهب الطبيعى والوصفىNaturalism and Descriptivity "(1989م). ويزعم أن مدخله الطبيعى يحاول **:"وضع سمات القيمة ضمن سمات العالم المتاحة لنا عبر التجربة العادية ، والتى تلعب دورًا فى التفسيرات التجريبية . ولهذا فقد تعامل مع " سمات القيمة على أنها سمات طبيعية من خلال مبدأ الرد". (Railton,1989,P.154)**

وبالرغم من أن الفرد الطبيعى الأخلاقى ليس مضطرًا لتأييد مبدأ الرد بشأن القيمة ، لأنه يرى أن السمات الأخلاقية طبيعية ، أو أنها من نوع خاص فريد فى الوقت نفسه ، لذا لا يحتاج لتأييد مبدأ الرد. إلا أن "رايلتون" يرى أن هذا الموقف غير مُرضٍ ولا بد أنه يعلل "الافتراض الردى Reductionist hypothesis" ، وهو تطابق تركيبى بين سمة القيمة الأخلاقية مع سمة لا أخلاقية مركبة . **(Railton,1993,P.317)**

ولعل من أهم الأسباب التى تجعل " رايلتون " مؤيدًا لمبدأ الرد هو أنه يعتقد أن "التطابق يساعدنا فى فهم الأخلاق ومكانتها فى عالمنا ــ بما فى ذلك تلك الأمور الخاصة بالتناول السيمانطيقى والمعرفى للسمات الأخلاقية ــ بينما يظل محتفظًا بالدور المعيارى للقيمة الأخلاقية**(Railton,1993,P.317)** .

وهناك سبب آخر أنه يعتقد أن الفرد الطبيعى الذى يبرر الحالة المعرفية لأحكام القيمة ليس مضطرًا لإنكار احتمال الرد ، وذلك لأن بعض حالات الرد تكون بمثابة التبرير أو الإثبات ؛ فعلى سبيل المثال الرد الناجح (" للماء " إلىH2o ") يعزز إحساسنا بأن هناك " ماءً " بالفعل . كما يرى أنه سواء أكان الرد من أجل التبرير أو الاستبعاد ، فإنه يعتمد على سمة الشىء الذى يتم رده . **(Railton,1989,P.161)**

فعلى سبيل المثال إذا قمنا باجراء عملية رد من أجل التبرير "للخير"، ينبغى أن يتم تعريفه من خلال مجموعة من السمات الطبيعية المركبة ، وذلك من أجل تمكين الفرد ــ إلى حد ما ــ من تفسير الارتباطات والوقائع البديهية المصاحبة لهذا الخير . وبالنسبة لـ " رايلتون " فيعد التفسير الردى للخير

المصاحب لفرد ما فى ضوء مروره بتجربة معينة ؛ ولتكن " السعادة " ، متشابهًا نوعًا ما مع التفسير الردى لصلاحية قارب ما للملاحة فى ضوء سماته النسقية أو التنظيمية . إن طبيعة هذه الحالة ــ أى السعادة ــ " تسمح برد السمات الأخلاقية إلى ظواهر اجتماعية نفسية مركبة ، وليس إلى طبيعة فوق بشرية**(Railton,1993,P.325)**." ومن هنا نستطيع إدراك القيم الأخلاقية.

ولما كانت القيم ــ مما سبق ــ يمكن تعريفها فى ضوء سمات وصفية مركبة، فإن "رايلتون" يعتقد أن القيمة وأساس الرد الخاص بها يمكن أن يؤديا دورًا سببيًا فى تفسير معتقداتنا. **(Railton,1989,P.161)**

ويضيف "رايلتون" واصفًا أهمية الرد :**" إن الرد الناجح من أجل التبرير والتعريف للقيمة الأخلاقية قد يساعد الواقعية الأخلاقية على تقديم أساس واضح للقيمة الأخلاقية؛ يمكننا من استبعاد بعض الغموض المحيط بهذه الفكرة. بالإضافة إلى دعمها فى الوقت نفسه إدراك صفاتها الأساسية. كما أن التعريف بواسطة الرد قد يشير إلى كيف تكون القيمة الأخلاقية سمة يمكن تحقيقها والوصول إليها سيمانطقيًا من ناحية ، أو قد يشير إلى سمة تشترك الأفراد فيها من خلال عمليات سيكولوجية محددة... ومن مزايا الرد الأخرى أنها تساعدنا فى فهم تابعية القيم الأخلاقية للقيم اللاــ أخلاقية " (Railton,1993,P.317)**

على أى حال كان " رايلتون " مؤمنًا بمبدأ الرد ، حيث رأى أن ذلك المبدأ يقدم العديد من المزايا، بحيث يصبح أفضل صورة من صور السمات الطبيعية المتعلقة بالقيم الأخلاقية.

*** يمكن تلخيص ما سبق فى الآتى :

1. إن أى غاية أو نشاط ذى قيمة بالنسبة لخيرية الفرد ليس لأن ذاته المثالية تريد من ذاته الواقعية السعى وراءه ، وإنما لوجود أساس للرد سواء بالنسبة إلى الشخص أو بيئته.

2. يقدم " الرد " السبب الذى يجعلنا نفسر لماذا يرغب الفرد رغبة معينة فى حد ذاتها عندما يكون فى ظروف مثالية ؛ فمثلا " لونى " يعد الشىء الذى جعله يتوقف عن شرب الحليب هو اصابته بالجفاف.

3. إن ميزة هذا المبدأ ؛ أن قيم صدق الوقائع لا تتأرجح بين رغباتنا ورغبات الآخرين ، حيث إن الفرد يستطيع مراجعة حساباته من خلال توافر المعلومات الكاملة حتى يتسنى له الوصول إلى أهدافه مباشرة.

ويمكن توضيح مبدأ رد الوقائع الأخلاقية إلى وقائع لاــ أخلاقية عبر المخطط التالى وفقًا لما يراه الباحث:

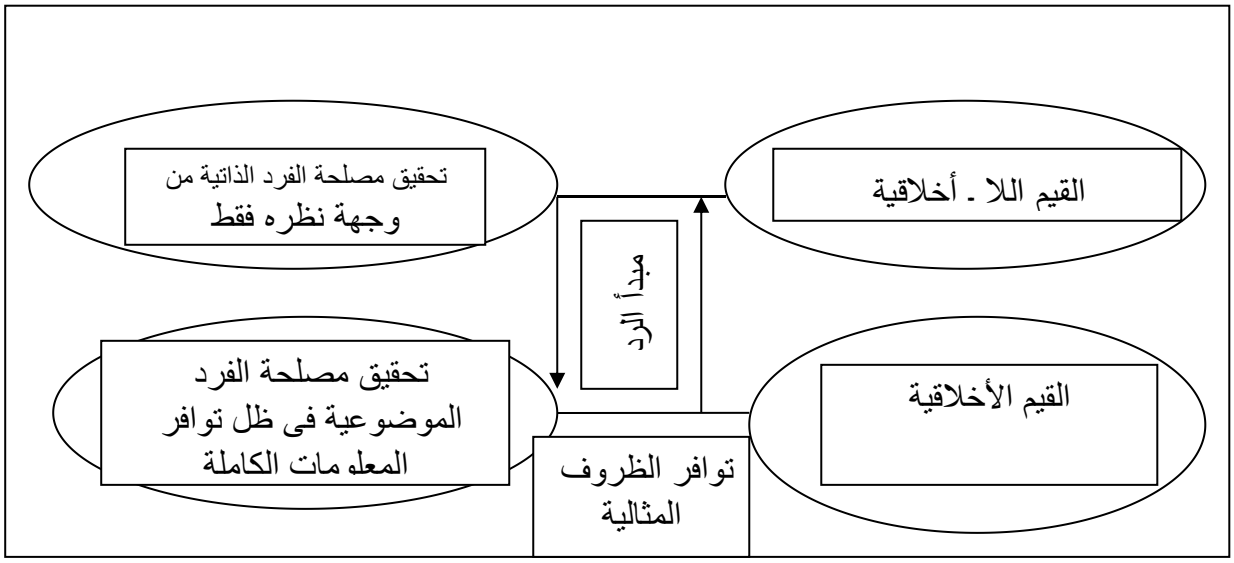

(2) مذهب "التداعى المركب Sophisticated Consequentialism" (*):

استخدم "رايلتون " فكرة "التداعى المراكب" من خلال مفهوم "الإغترابAlienatio "(**) وخاصة عند " مل" بالشكل التالى: يبدو أن هناك بعض طرق اتخاذ القرارات الأخلاقية والتى عند اتباعها قد تعمل على منعنا من الحصول على أنواع آخرى من القيمة ؛ ولعل قضية مذهب اللذة (***) تؤكد ذلك .

(*) مذهب التداعى : هناك عدة ترجمات لهذا المصطلح وهى مذهب النتائج ، أو مذهب العواقب ، ولكننى (الباحث) أفضل ترجمة التداعى . وهذا المذهب يُقيم الصواب والخطأ للأفعال وفقًا لقيمة النتائج المترتبة على هذه الأفعال . ويعد مذهب "تداعى الفعل Act Consequentialism " أشهر أنواعه ، ويرى أن من بين كل الأفعال المتاحة للفرد ، فإن الفعل الصائب هو ذاك الفعل الذى ينتج عنه الخير الأقصى. ولا يتناسب هذا النمط مع الفكر الخلقى العادى لعدة أسباب :

1. لأنه يبدو شاقًا للغاية، حيث إن الحاجة إلى جعل العالم مكانًا أفضل للعيش فيه سوف يحتاج تحقيقه كل وقتنا ومجهودتنا.
2. ليس هناك مكانًا للواجبات الخاصة التى نملكها تجاه المقربين منا مثل العائلة والأصدقاء.
3. يجعلنا فى بعض الحالات نفعل أكثر الأشياء سوءًا لتحقيق نتيجة جيدة.

ويعرض أتباع مذهب التداعى نظريتهم من خلال طريقين:

الأول: مذهب تداعى الفعل غير المباشر ،Indirect Act والذى يرى أنه ليس من الضرورى أن نهدف إلى ما هو صائب، سنقترب أكثر من جعل العالم المكان الملائم للعيش وللحياة من خلال السلوك المتوافق مع الفكر الأخلاقى.

الثانى: تداعى القاعدةRule-Consequentalism والقائم على أن الفعل الصحيح هو ذالك الفعل المتوافق مع مجموعة من القواعد، والذى سيساهم فى الاتفاق العام على زيادة الخير. تلك القواعد تشبه إلى حد كبير القواعد الخلقية التى نعمل بها .- **(Cp;Craig,Edward,2005,Pp143-146)**

(**) الإغتراب : ترجع نشأة هذا المصطلح إلى القرنين التاسع عشر والعشرين من خلال النظريات الاجتماعية التى تدعو إلى الإغتراب النفسى والاجتماعى عن جميع الشرور والأخطاء التى تعانى منها البشرية . فعلى سبيل المثال : يغترب أو ينعزل الأفراد عن العمليات السياسية المختلفة التى توجد فى المجتمع ، وبخاصة عندما يشعرون أن هذه العمليات بعيده المنال عنهم ولا تتعلق أو لا تتدعم شئون وأمور الضعفاء. وبالمنطق نفسه من الممكن تطبيق ذلك على قيمنا ومعتقداتنا فقد نغترب عنها وذلك عندما نجدها تقوض مصالحنا الخاصة ولا نجد لها وجود أفضل .**(Edward,2005,P.12)**

(***)للذة عدة صور أبرزها :ـــ مذهب " اللذة الأنانىEgoistic Hedonism " : ويرى أصحابه أن ما ينشده الإنسان بالفعل، وما ينبغى أن يلتمسه هو لذته الخاصة أو منفعته الشخصية ؛ إلى هذا ذهب " توماس هوبز (1588م ـــ 1679م) Hobbes,T" ... الخ ومن هؤلاء الفرديين من ذهب إلى أن أقوى اللذات وأحقها بالطلب هى اللذة الحسية العاجلة ـــ فيما ذهبت القورينائية Cyrenaics ، ومنهم من رأى أن أجدر اللذات بالطلب ما اتصف بالدوام والاستمرار ، كاللذات الروحية والعقلية ـــ ومن هنا كانت السعادة والطمأنينة التى قال بها الأبيقوريةEpicureans .

فـإذا نظرنا إلى "جون ستيورت مل" ـ أحد أتباع مذهب المنفعة العامة ـــ يرى أن مبدأ المنفعة أو الخير الأقصى قائم على تحقيق الخير أو اللذة للجميع وتجنب الخطأ أو الألم ؛ حيث أنه من خلال اللذة نحصل على السعادة أما مع غيابها لا نحصل على السعادة أو اللذة وإنما الألم**(Mill,1906,P.9.)** .

ومن ثم يرى " جوزيف جريسكJoseph Grcic " (***) أحيانًا ما يطلق على نظرية " جون ستيورت مل " فى فلسفة الأخلاق بأنها مماثلة لمذهب التداعى ، لأنه يؤمن بأن خيرية أى فعل من الأفعال إنما هى قائمة أو مرتكزه على النتائج التى يحدثها هذا الفعل فى العالم وفقًا للذة والألم . **(Grcic,1989,P.58).**

هذا على النقيض من "رايلتون" الذى اهتم بالأسباب التى تؤدى إلى التداعى بقدر اهتمامه بالنتيجة، بعكس "مل" الذى اهتم بنتيجة الفعل فقط . فلقد رأى "رايلتون" أن تركيز الفرد على أن يصبح سعيدًا فقط بشكل يعلو ويفوق باقى الغايات والأهداف سوف يمنعه من أن يصبح سعيدًا بالفعل، ذلك لأان السعادة وحدها غالبًا ما تعد نتيجة ثانوية مصاحبة لتحقيق غايات آخرى قد يغفل الفرد عنها. فالشخص الذى يسعى لتحقيق السعادة بشكل مباشر سوف يفوته عديدًا ـــ إن لم يكن كل ـــ من الطرق المُثلى لتحقيق هذا الهدف . بناءً على ذلك يضيف "رايلتون" أن مؤيدى مذهب اللذة قد يستفيدون بشكل أكبر إذا قاموا بتبنى غايات آخرى غير الوصول إلى السعادة بطريق مباشر فقط ، لأنه بهذه الطريقة سوف يصبح أكثر سعادة**(Railton,1984,Pp,140-144)**.

فهدف التداعى عند "رايلتون" هو الحصول على أفضل النتائج الممكنة أو بالأحرى زيادة القيمة إلى أقصى درجة، وذلك من خلال النظر إلى كافة المعطيات والمقدمات الأساسية أو الأسباب المؤدية إلى القيمة النهائية، ثم العمل بعد ذلك على عزل بعضها غير المناسب. فمن خلال ذلك نقوم بدراسة كافة المعطيات والمقدمات، ثم نختار المناسب لنا. وهذا ما ظهر فى أنواع التداعى المختلفة عند "رايلتون."

فللتداعى المركب عند "رايلتون" نوعان:

النوع الأول ؛ التداعيات الذاتية: تؤكد على أن الفرد ينبغى أن يتخذ كل قرار بناءً على تقييم البدائل المتاحة أو الأسباب المؤدية للفعل، وتحديد أيها يؤدى إلى أفضل نتائج ممكنة.

النوع الثانى ؛ التداعيات الموضوعية: فلا تتطرق إلى كيفية اتخاذنا للقرارات الأخلاقية بقدر تأكيدها على أن معيار صواب فعل معين ما هو إلا بمثابة تعزيز للقيمة الخيرية للأفعال الآخرى المتاحة أمام الفرد ، بغرض زيادة القيمة.

(Railton,1984,Pp,152-153) .

ـــ مذهب " اللذة العامةUniversalistic Hedonism ": وقد خالف أصحابه دعاة اللذة الفردية ، فقالوا إن الانسان يلتمس بالفعل ، وينبغى أن ينشد لذة البشر جميعًا ، بل لذة سائر الكائنات الحساسة ، واشتهر هذا المذهب بمذهب المنفعة العامة Utilitarianism الذى تمثل عند " جون ستيورت مل " ... الخ. - **(انظر؛ توفيق ، 1953،ص ص 24-25).**

(***)جريسك أستاذ الفلسفة بجامعة انديانا له عديد من المؤلفات:

الأخلاق النظرية والممارسة Ethics: Theory and Practice

الإيمان والعقل : مدخل فى فلسفة الدين Faith and Reason: An Introduction to the Philosophy of Religion

الوجود والمعنى : مدخل للوجوديةExistence and Meaning:An Introduction To Existentalism

العقول المفتوحة : الأفكار الأساسية فى الفلسفةOpen Minds:The Basic Ideas Of Philosophy

(Cp; https://www.indstate.edu/faculty-staff/joseph-grcic)- تاريخ الدخول 2018/8/18م

تعد الرؤى السابقة منفصلة منطقيًا وليست متصلة ؛ فالتداعى الموضوعى للفعل لا يضيف أى إجراء معين من أجل اتخاذ إجراءات معينة وإنما دوره بمثابة تأكيد على أن الفعل الذى اتخذناه صوابًا ، بينما التداعى الذاتى يستلزم اجراءات تقليدية معينة من أجل اتخاذ القرار المناسب .

كما يعد "التداعى الموضوعى" بمثابة تقييم لإجراءات مثلما نقيم أى شىء آخر : فهو يرى أن أفضل قرار هو ذلك الذى يزيد القيمة إذا تم اتباعه . ولعل " رايلتون " يستخدم عبارة **" فعل متداعٍ بشكل موضوعى"** (*) (أو حياة Life) ليشير إلى الفعل أو الحياة التى تتألف من عدة أفعال من أجل تحقيق أقصى قيمة ممكنة من بين كل الأفعال أو الحيوات المتاحة أمام الأفراد.**(Railton,1984,P.152)**

إن ما يقصده "رايلتون" بالتداعى؛ تحقيق أقصى قيمة ممكنة من خلال اختبار كافة الأسباب دون أن يكون هنك معرفة مسبقة بالنتيجة ، أى يدعو إلى الإغتراب عن المعرفة القبلية؛ فهذا النوع هو ما يطلق عليه التداعى المركب. والذى يختلف عن التداعى العادى حيث تتوفر لدى الإنسان معرفة مسبقة بالنتيجة

ويفسر " رايلتون " رؤيته للتداعى المركب من خلال المثال التالى:

قام أحد الأصدقاء بالتعليق على عمق التزام " جوان " واهتمامه بزوجته " لندا " . فأجاب " جوان " أنه يحب زوجته ، وأن علاقتهما مهمة جدا ودائمة لدرجة أن ما يفعله لها أصبح شيئًا طبيعيًا. ولكن هذه الإجابه قد حيرت صديقه قليلاً ... ذلك الصديق الذى رأى أنه من الجيد أن يكون هناك مثل هذه العلاقة بين " جوان " و " لندا ". ولكن أليس من الأفضل أن يساعد " جوان " العديد من الأفراد الذين هم فى حاجة اليه أكثر من اهتمامه بـ " لندا " ، وخاصة إذا وجه اهتمامه إليهم من خلال أمواله الطائلة ؟! .(Railton,1984,P.150)

لقد قال " رايلتون " ما يلى على لسان " جوان: "

" ليس من السهل أن تنجح كل الأمور الموجودة فى العالم الخارجى ، ومن أفضل الأشياء التى تحدث للناس هى أن تمتلك علاقة وثيقة كعلاقتنا ـــــ أى بين " جوان " و " لندا "ـــ فقد تزداد الأمور سوءًا وبخاصة إذا تحطمت هذه العلاقات الوثيقة من أجل هدف أكبر . وعلى أيه حال ؛ اعلم تمامًا أنك لا تستطيع دائمًا أن تضع الأسرة أولاً . ففى الوقت نفسه ليس العالم بذلك المكان الرائع الذى من السهل فيه أن تتراجع إلى دائرتك الصغيره الخاصة بك ولكنك لا تزال فى حاجة إلى هذه الدائرة الصغيرة . فالناس قد يقعون ضحية الإغتراب إذا حاول وا حماية العالم بأنفسهم "..(Railton,1984,P.150)

إن ما يود " رايلتون " قوله هو أن " جوان " بعد أن قام بمراجعه كافة المعطيات والأسباب التى توفرت لديه مثل : علاقته بـ " لندا " ، وعلى افتراض أنه أهملها ماذا سيفعل ؟ كذلك إذا اهتم بمن هم يحتاجونه أكثر من " لندا " ، فما العائد عليه هو و" لندا " ... ؟الخ . لكنه وجد أن اهتمامه بـ "لندا" أقوى بكثير من أن يركز كل اهتمامه على الآخرين نظرًا للأسباب السابقة التى ساقها ، فعلى سبيل المثال رأى أن هذا العالم ليس بذلك المكان المأمون الذى تتراجع فيه إلى دائرتك القديمة.

فى تقدير(الباحث) يمكن تلخيص موقف "رايلتون" بالمثل الشائع: "عصفورٌ فى اليد خير من عشرة فوق الشجرة" فما فعله "جوان" كان بمثابة تداعى بسيط دون أن تكون لديه أى نتيجة مسبقة.

(*) Objectively Consequentialist act

بناءً على ما سبق تكمن الميزة الرئيسة لفكرة " التداعى المركب " فى أن كثرة الأسباب والمقارنات بين المعطيات أو المقدمات تكون بمثابة تحفيز أو دافع سيكولوجى للفرد نابع من ثقته المباشرة فى اختياراته التى قد توصله إلى تحقيق أقصى قيمة ممكنة**(Railton,1984,P.154)** . .

على أى حال يعد كلاً من : " مبدأ الرد " و " التداعى المركب " بمثابة الأسس التى اعتمد عليها " رايلتون" فى نظريته للقيم والأخلاق ، وتبين أن " رايلتون " دائما ما يعتمد فى منهجه على ربط القيم أو الاخلاق بوقائع طبيعية ولا ـــ أخلاقية ، حيث يؤمن " رايلتون " بأن الوقائع الأخلاقية ينبغى أن تُكتسب من خلال طرق معرفية وسيمانطقية "دلاليه"خاصة من أجل التعرف عليها ؛ ومبدأ الرد والتداعى المركب يؤكدان على ذلك ، بالإضافة إلى تفسيرهم لأى غموض ينتاب هذه الوقائع. أو كيفية علمنا بها أو الإشارة إليها ... وهكذا ، وذلك أنها سمات طبيعية أكثر منها أخلاقية . ومن ثم تتميز هذه الرؤية الطبيعية واللا ـــ أخلاقية بأنها تمكننا من معرفة الوقائع الأخلاقية. وحتى يتسنى لنا فهم رؤية "رايلتون" عن القيم الأخلاقية فمن المهم أن نبدأ بفهم مفهومه عن القيم اللاـــ أخلاقية.

(ب) القيم "اللا ـ أخلاقية" كبداية لتأسيس "القيم الأخلاقية" عند "رايلتون":

وكما أشرنا سابقًا يرى " رايلتون " أن القيم " اللا ـــ اخلاقية " عند فرد ما تتكون **" مما يريده لنفسه إذا عرف ماذا ينبغى عليه القيام به "**[(*)].**(Railton,1986,P.177)** وهذا يعنى أن هناك أفرادًا لا يعون بما يفعلون لقصور المعرفة بمن حولهم. بناءً على ذلك رفض"رايلتون" التمييز التقليدى بين "الواقعة" و"القيمة". لأنه حتى يصل الانسان إلى القيمة الخلقية لا بد أن يكون على دراية كافية بما حوله. وهذا ما سنحاول مناقشة فى كما يلى:

(1) إشكالية التمييز بين الواقعة والقيمة :

اتخذ التمييز بين الواقعة والقيمة أهمية كبرى فى الفلسفة الخلقية فى القرن العشرين، كما كان سابقًا عند " هيوم ". فأحكام القيمة مختلفة عن أحكام الواقع ، حيث أن وظيفة الأولى هى " التقييم" و "التعبير"، بينما وظيفة الثانية هى "الوصف" و"الإشارة". وبعبارةٍ آخرى يمكننا القول إن تحليل "اللغة" يكشف عن فى هذه "اللغة" ــ على الأقل ــ فئتين مختلفتين من الأحكام؛ أحكام قيمية، و أحكام واقعية وصفية، ولا يكشف تحليل اللغة عن هذا فقط، وإنما يبين كيف أن هناك مجالين متمايزين منطقيًا للمعنى ،Meaning وأن وراء ذلك مجالان مختلفان من الحقيقة. ومن ثم فإن الخلط بين هاتين الوظيفتين المختلفتين للغة، وهو الخلط الذى يفترض أن النظريات الطبيعية فى الأخلاق قد وقعت فيه، إنما يعنى الوقوع فى "خطأ لغوى"، وهو خطأ يؤدى إلى صراعات لفظية لا يمكن حلها .**(مدين،2008م ، ص 82)**

إن "هيوم" يدعم الفصل بين "القيمة" من جهة و "الواقعة" من جهة آخرى؛ حيث إن "هيوم" ينكر امكانية الاستدلال، حيث استحالة استدلال "ما ينبغىOught " من "ما هو موجود Is"، ومن ثم الفصل بين القيمة والواقعة والتمييز بينهما ، ويمكن تلخيص جوهر إشكالية ما ينبغى ما هو موجود فى الآتى:

1. إن المذاهب الأخلاقية السابقة كانت على نحو شائع ومألوف تبدأ بتقديم براهين إثبات وجود الله ، أو تبدأ بتقديم ملاحظات تتعلق بالشئون الإنسانية التى يتم التعبير عنها فى قضايا تستخدم الرابطة " يكون " أو " لا يكون. "

(*) "roughly, what he would want himself to seek if he knew what he were doing"

2.ةإن هذه المذاهب الأخلاقية كانت تنتقل وعلى نحو غير مدرك ولا " غير واضح " إلى قضايا ترتبط بالرابطة " ينبغى " ، وهى رابطة تختلف كليًا عن الرابطة " يكون " و "لا يكون " ومن ثم فهى تعد علاقة جديدة أو نوعًا جديدًا من الإثبات ، ومن ثم يستلزم الأمر بنا تفسير هذا " الانتقال " والدفاع عنه.

3.إن الانتباه إلى هذه الخطوة سوف يؤدى إلى التخلص من كل المذاهب الساذجه ويجعلنا نتبين كيف أن التمييزات الأخلاقية لا تتأسس على الموضوعات من جهة ، بالإضافة إلى أن هذه التمييزات الأخلاقية لا يتم إدراكها بالعقل من جهة آخرى .**(مدين،2008م ، ص ص 100 – 102)**

ويعد "هيوم" من أشهر من ميزوا بين "الواقعة" و"القيمة" نتيجة لادعائه بأن نتائج "ينبغى" لا يمكن أن تنتج منطقيًا من من عبارات "يكون"، فهناك "فجوةGap " بينهما تعرف بفجوة "يكون ـ ينبغى".

وفى السياق نفسه نجد لدى الفيلسوف الانجليزى "ريتشارد هير (1919م ــ 2002م) Hare,R"(*) أفضل تعبير عن هذه الحالة التى يتآزر فيها المنهجان، كما يظهر فى كتابه "لغة الأخلاق The Language of Morals " الذى يقدم فيه مثالاً لهذا التناول المصحوب بالاعتماد على التمييزات اللغوية ، فقد قدم لنا قضيتين أساسيتين يمكن تلخيصهما على النحو التالى :ة

إن اللغة الأخلاقية فى استخدامها الأساسى تعبر عن استخدام إرشادىPrescriptive وليس استخدامًا وصفيًا. فلا يمكن استدلال تصور أخلاقى أصيل، استدلال صحيح من فئة من المقدمات لا تتضمن على الأقل أمرًا واحدًا، أعنى تصورًا أخلاقيًا واحدًا على الأقل. وبعبارة آخرى (إن كل الوقائع الأخلاقية من قبيل " إن هذا خير فى ذاته " هى وقائع مستقلة منطقيًا عن أي وقائع تتعلق بما هو موجود) ... إن الحكم الإرشادى يجيب عن السؤال المتعلق بما ينبغى أن أؤديه من أفعال. بينما يجيب الحكم الوصفى عن السؤال المتعلق بتحديد طبيعة هذا الأمر أو ذاك. (مدين،2008م ،ص ص 88 – 89)

ومن بين المهتمين أيضا ـ كما أشرنا سابقًا ـ بالتمييز بين " الواقعة " و " القيمة " نظرية الخطأ الأخلاقية والتى قدمها " جون ماكى " والتى تشير إلى أنه لا يوجد قيم فى " العالم الواقعى " لأن موضوعات القيم بالغة التفرد.

وفى السياق ذاته نلحظ "الأخلاق الوجوديةExistentialism " والتى رأت أن الإيمان بعدم واقعية القيمة يترك لنا حرية الإختيار. فالوجود الانسانى عند الوجودية لا يتحدد إلا بوصفه وجودًا ذاتيًا حرًا ، بل هو الحرية نفسها. لذلك تعلن الوجودية تمردها على كل محاولة لإخضاع الإنسان للحتمية الاجتماعية أو للموضوعية العلمية وكل ما من شأنه أن يقتنص حرية الانسان فى فخاخ ماهية سابقة تقيد فعله. فالإنسان حر يواجه عالمًا من البدائل والممكنات، وهو مسئول عن الاختيار من بينها ، دون عون من فكرة سابقة أو قوة عليا، وإلا كان مسلوب الارادة. **(قنصوة ،1981م ، ص ص 163-164).**

أما عن "رايلتون" فقد رفض التمييز بين "الواقعة" و "القيمة" ، ورأى أن رؤيته القائمة على مبدأ الرد السابق تدعم هذا الرفض ، حيث يمكن تعريف القيم من خلال ردها إلى الوقائع الطبيعية ، كما أن

(*) هير: استاذ الفلسفة الأخلاقية الانجليزى ، شغل منصب استاذ الفلسفة الأخلاقية بأكسفورد . من أهم مؤلفاته:"لغة الأخلاق The Language of Morals (1952م)" ، "الحرية والسبب والتفكير الخلقى Fredoom and reason and moral Thinking (1963م) " .

رفضه للتمييز السابق كان منصبًا على ان هذا التمييز قائم على أسس ضعيفه غير آمنة Insecure. **(Railton,2003,P.43)**

يدعم هذا التمييز حجتان وجد " رايلتون " انهما مشكوك فى صحتهما:

الحجة الأولى : " الحتمية العقلانيةRational Determinability "

الحجة الثانية : " مطلقية القيم value absolutism "

أما عن الحجة الأولى ؛ الحتمية العقلانيةRational Determinability :

تدعم الحتمية العقلانية التمييز بين "الواقعة والقيمة"؛ وذلك من خلال الاعتماد على الاستدلال Interferance والتجربة ؛ فإذا اختلف فردان حول واقعة ما ، وكان كل منهما عقلانيًا تمامًا فى تكوينه وتقييم معتقداته ، فلا بد أن يتم التوفيق والتوافق بينهما من خلال التجربة والحجج المنطقية . وعلى النقيض عندما يختلفان حول القيم، فإن عدم الاتفاق بينهما ليس له أدنى قيمة هنا ، حتى إذا مرا بكافة الاختبارات التجريبية الممكنة ، واتفقا حول كافة الحجج الواقعية. **(Railton,2003,P.44)**

ويشير هذا إلى أن الوقائع قوية ، والقيم لينة ضعيفة ، ذلك لأن الدليل التجريبى يدفع بالأفراد المختلفين حول قضية واقعية إلى الوصول إلى الاتفاق التام . بينما يحدث الاختلاف حول القيم حيث لا يمكن تحديدها فى ضوء الاستدلال والتجربة مثل الوقائع ، لذا ينبغى التمييز بينهما.

كما يرى رايلتون :**"إن الدفاع عن هذا التمييز بين "الواقعة" و"القيمة" يفترض وجود "قوانين استقراء Induction" قوية، بحيث تعمل التجربة على إيجاد نقطة التقاء حول الأمور المتعلقة بالوقائع بين كل الكائنات المعرفية بغض النظر عن نقاط البداية. ويضيف قائلاً: "إن تاريخ الجهود المبذولة حول منطق الاستقراء يثبت أنه لا وجود لهذه القوانين، فكل معتقداتنا عن العالم تعد ناقصة حتى فى ظل وجود الأدلة الممكنة". (Railton,2003,P.44)**

كذلك يرى "رايلتون" أن المنطق الاستنباطى لا يخبرنا كذلك بما ينبغى أن نعتقد فيه ظل العقلانية، بل كل ما يخبرنا به هو أى القضايا ينتج من القضايا السابقة عليها . وقدم مثالاً توضيحيًا لذلك:

(1) أنا أعتقد أP " "

(2) " P " تتضمن " q "

---

(3) ينبغى علىّ الاعتقاد فى " q "(*)

النتيجة (3) نتوصل إليها إذا أضفنا المقدمة التالية:

(0) ينبغى للفرد دائمًا وبصورة عقلية تصديق اللزوم المنطقى لمعتقداته الحالية. **(Railton,2003,P.44)**

(*) (1) I believe that p.

(2) p implies q.

(3) I rationally ought to believe that q.

لكن من الواضح أن المقدمة(0) ليست مبدأً من مبادىء المنطق الاستنباطى على الإطلاق ، فمثلاً إذا كنت أعتقد أن كل الحيوانات فانية ، وأن قطتى حيوان ، فينبغى بصورة عقلية أن أعتقد أن قطتى فانية فقط وخاصة إذا كنت معتقدًا بأن على الفرد دائمًا تصديق اللزوم المنطقى من خلال العقل . وبالتالى إذا افترضنا أن الوقائع تختلف عن القيم بسبب ما يمليه علينا العقل والبرهان ، فإنه حتى فى ظل وجود المنطق الاستقرائى لن يدعم ويقوى هذا الاختلاف فيما بينهما ، ويقول "رايلتون" أن السؤال " ماالذى ينبغى على الفرد أن يعتقد فيه بصورة عقلانية؟ سيظل سؤالاً عمليًا وليس مجرد سؤال نظرى. (Railton,2003,P, 44-45) وبناءً على ذلك يرفض "رايلتون" التمييز بين "الواقعة والقيمة."

أما عن الحجة الثانية؛ "مطلقية القيمvalue absolutism " : فهى كذلك تدعم التمييز بين "الواقعة" و"القيمة"، فترى أنه لكى يكون الشىء ذا قيمة حقيقية ينبغى أن يكون له صدى لدى أى كائن عقلانى آخر. بمعنى آخر؛ إن أى شىء يتفق عليه الجميع يعد ذا قيمة حقيقية. وهذه هى المقدمة التى شك فيها "رايلتون"، حيث رأى اختلاف رغبات الأفراد ودوافعهم من فرد إلى آخر.

وأشار إلى أن "المذهب الداخلىInternalism "(**) سيثير مشكلة هنا وخاصة عند اقترانه بالقيم المطلقة . لأن "المذهب الداخلى" يؤمن بأنه لكى ينطبق الحكم المعيارى على فرد ما ، فلابد أن يكون لديه شىء من العقل والبرهان حتى يتسق معه . فإذا كنا من أتباع هيوم مثلاً لخضع الحكم إلى معايير الرغبات حيث تكون الاحتياجات Needs ضرورية لتحقيق أهدافه، وإذا كنا من أتباع كانط لخضع الحكم إلى العقل من أجل التبرير. لكن من خلال رؤية "المذهب الداخلى" فإن العقل يخفق فى أن يتفق الجميع حوله . وإذا كان المذهب الداخلى صحيحًا ، فإن الأحكام المعيارية ينبغى أن تكون قادرة على حث الفرد الذى تنطبق عليه الأحكام ، لكن هذا من الصعوبة بمكان، وهذا ما ينطبق على مذاهب القيمة المطلقة فإذا كانت صادقة أيضًا ، فإن أحكام القيمة لا يمكن أن تكون واقعية.**(Railton,2003,Pp,45-46)**

وفى السياق ذاته نلحظ "الأداتيةInstrumental "التى ترى عدم وجود غايات أو أنشطة أساسية تتبعها الكائنات العقلانية وتتوحد حولها بشكل ضرورى، فمثلاً قد يعتقد شخص ما أن القيام بفعل ما ذو قيمة ما رغم أننى قد لا أراها كذلك. كذلك نلحظ أن حكم القيمة هذا لا ينطبق علىّ فرد ما لأن هدفه فى الحياة أن يصبح ثريًا قدر الامكان وهذا يختلف عن هدف شخص آخر يريد أن يكون كاتبًا مثلاً. **(Railton,2003,P.46)**

من الواضح أن اقتران كل من "مذهب الداخلية" و "الأداتية" بـ ـ "مذهب القيم المطلقة" يوحى بالاختلاف بين " الواقعة " و " القيمة "، إلا أن " رايلتون " يوضح: أن الفرد قد يعترض على " الأداتية" ويرى أن بعض الغايات أو الأفعال الأساسية توصى بها العقلانية فعلا، ولكنه يرى أن المشكلة تنشأ من مذهب القيم المطلقة وليس من الأداتية ، ولعله يرى أن الخير فكره نسبية وليس مطلقة، فعندما نزعم أن (X) خيرًا ، فإننا دائمًا نعنى أن (X) يكون خيرًا لموضوع معين أو لفرد معين ، حيث إنه لا يوجد خير

(**) المذهب الداخلى هو:ذلك المذهب المعتمد على الذات من خلال انعكاس ما هو خارجى عليها. لذا يعد نداء القوى الداخلية للفرد واجبًا ضروريًا بل حتميًا ولا يتطرق إليه الشك. وهذا ما يسبب لها كثيرًا من الاعتراضات ومن بينها:

1. إنها قائمة على دليل أو فكرة غير واقعية ، فليس هناك دليل مادى واقعى ملموس على مدى صدق الاعتقاد فى هذه القوى الداخلية.
2. اذا حصرنا أنفسنا فى الاعتماد على هذا المذهب وحده فقط من خلال انعكاسه على الذات ، فليس لدينا ضامن على أن معتقداتنا صادقة ، وليس هناك ما يبرر تلك المعتقدات.**(Cp;Craig,Edward,2005,P.455)** - .

لكل الأفراد . فمثلاً ما هو خير للبشر ، لا ينبغى أن يكون خيرًا لكل الكائنات الحية ، فإنهم نتاج لتاريخ تطورى معين ، ولديهم تواريخ تطورية فردية عديدة .**(Railton,2003,P.47)**

يود " رايلتون " هنا التأكيد على أنه من الصعب أن يتفق الجميع حول هدف معين أو شىء مطلق نظرًا لتنوع الرغبات والأهداف ... الخ. ذلك ما أكد عليه أيضا فى المثال التالى: **إن هذه الرؤية تشبه ما لدينا من اعتقاد عن التغذية، فليس هناك شىء محدد ممكن أن نعده مغذيًا لكل الكائنات، بل تعد التغذية علائقيةRelational (**)فقط ، فمثلاً تعد التغذية (S) مادة غذائية لكل الكائنات من النوع(T) . ويقول "رايلتون" إن الشىء نفسه ينطبق على الخير، فقد نقول بالرغم من أنه لا يوجد خير مطلق ـــ أى الخير فى حد ذاته ــ بغض النظر عن كونه خيرًا لمن؟ أو لماذا ؟، إلا أنه قد يكون هناك خير علائقى. كما أنه من بين أوجه الخير العلائقى لكائن ما يكون حقيقيًا ومنها ما يكون وسيليًا. (Railton,2003,P.48)**

على أى حال لقد رفض "رايلتون" التمييز بين "القيمة" و"الواقعة" من خلال مناقشة المقدمتين اللتين يعتمد عليهما. ولكن حجته كانت تختلف عن تلك الحجج التى كان يستخدمها بعض الفلاسفة المعاصرين مثل:" فوت (1920م ـــ 2010م)Philippa Foot "(*)" ويليامز(1929م ـــ 2003 م) Bernard Williams"(***)... الخ فى اعتراضهم على التمييز بين الواقعة والقيمة،حيث ذهبوا إلى أنه من المستحيل فصل المكونات المعيارية عن المكونات الوقائعية فى المفاهيم الأخلاقية مثل "قاس Cruel" و"غير حساس Insensitive" ــ "غير أمين Dishonest" و"غشاش Treacherous"... وهكذا. **(Williams,1985,Pp,120-155)**

فمثلاً لا يمكننا فصل المدلول الوقائعى للمفهوم الأخلاقى "شجاع" عن مدلوله المعيارى. فعندما نحكم على شخص ما بأنه شجاع، فلا بد أن نشير إلى أفعاله ، وبالتالى يرتبط العنصر الوصفى ويتشابك مع العنصر الإرشادى فى التصور الأخلاقى. هذا على النقيض من مؤيدى الانقسام والتمييز بين الواقعة

(**) يُشير هذا النوع إلي أن العلائقية تكمن في هذا المركب من (الذات، والموضوع، والعلاقة بينهما). وذلك لأنه لا بد من وجود ما نقومه (موضوع التقويم)، وكذلك لا بد من وجود الذات التي تُقوم. ونظراً لأن أي تغير في أحدهما يؤثر بالضرورة في الآخر ، فإننا نُولي كليهما القدر نفسه من الأهمية. ونظرًا لأن علاقة الذات بالموضوع ـ رغم وجود الموضوع والذات نفسها ـ قد تتباين من حين لآخر أو من مكان لآخر وفقا لدرجة الوضوح، أو وفقا لدرجة تباين غموض الموضوع وخواصه المميزة، وتبعا لحالات الذات النفسية والعقلية، مما يؤثر فى الإنتباه والتركيز ودرجة الاهتمام.

ـ (انظر؛الصباغ، 1998م. ص77.

(*)فيليبا فوت: درست الفلسفة بجامعة أكسفورد، لها كثير من المقالات التى كان لها تأثير فى تغيير طبيعة الفلسفة الخلقية، ويمكن أن نعد مقالتها "حجج أخلاقية" بمثابة الخطوط الأولى نحو ما نسميه الآن باسم "الواقعية الأخلاقية" أو المعرفية Cognitivism ، أو وجهة النظر التى تقول إنه يمكن أن تكون هناك قضايا أخلاقية حقيقية. ومن أهم مؤلفاتها:"الفضائل والرذائل " (1978م) ــ " الواقعية الأخلاقية والإحراج الأخلاقى " (1983م) ــ " المذهب النفعى والفضائل" (1985م).

تـــاريخ (Cp;https://www.theguardian.com/world/2010/oct/05/philippa-foot-obituary) -الدخول18/8/2018

(***) برنارد ويليامز: فيلسوف انجليزى، اهتم بفلسفة الأخلاق وتاريخ الفلسفة الغربية قديمًا وحديثًا على حد سواء، وصفته التايمز البريطانية بأنه أعظم فيلسوف أخلاقى بريطانى، تم منحه وسام الفروسية 1999م. ومن أهم مؤلفاته:"الحظ الأخلاقى" (1981م) ــ "الأخلاق وحدود الفلسفة " (1985م) ــ "الحق والصدق " (2002م) -

(Cp; https://www.britannica.com/biography/Bernard-Williams)-تاريخ الدخول18/8/2018

والقيمة فهم يرون أن كلمة "شجاع" لها مدلول واقعى ما يمكن تمييزه دائمًا عن المحتوى التقييمى ؛ فالأول يشمل الأعمال الوقائعية التى قام بها بالفعل ، فى حين يشمل الثانى اتجاهاتنا القبلية .

(2)ماهية القيم اللاــ أخلاقية عند " رايلتون : "

وكما أوضحنا سابقًا من خلال مثال " لونى " أو العاملA" " أن مصالحنا الذاتية أو الفردية تعد بمثابة قيم غير ـــــ أخلاقيه لأنها فى الأغلب الأعم لا تعكس ماهية الخير لنا جميعًا ، وإنما تعد بمثابة تعبير عن خير ذاتى فردى خاص بشخص واحد فقط دون الجميع.

هذا على النقيض من رؤية "رايلتون" للقيمة الأخلاقية؛ فحقيقة الخير عند "رايلتون" حقيقة علائقية، أى ليست حقيقة مطلقة ولا ذاتية، ذلك من حيث كونها مرتبطة بموضوع معين. ويتشابهه موقفه الخاص بفكرة "العلائقية" فقط مع "هوبز(1588م ــ 1679م)Hobbes,T " والذى يعد أهم من ناقش فكرة الخير العلائقى، وذلك فى كتابه المعنون "بالتنين Leviathan" **(Hobbes,1981,P.120)** حيث كان مؤمنًا بأنه كى تطلق صفة الخيرية على الشىء ، فلا بد من وجود اتصال وثيق بين فعل الخير والفرد، ولعل الشىء الوحيد الذى يكون فيه الشىء خيرًا للفرد هو أن يرغب فيه ، فهو خير فردى **(GASKIN,1996, P.XX)** (**). بمعنى آخر تشير تفضيلات الآخرين إلى ما هو مرغوب فيه بشكل عام.

فالخير عند " هوبز " بمثابة الخلط بين ما يريده الفرد وبين ما هو مرغوب فيه بشكل عام. فخير الفرد قد يكون مرغوبًا فيه بشكل عام ، ولكنه قد لا يكون مرغوبًا عند الفرد نفسه. (**)

وهذا ما يرفضه "رايلتون" الذى يؤمن بأنه دائمًا لا نعرف ما الخير بالنسبة إلينا ، إلا أن هوبز يخلط بين ما يريده الفرد وبين ما هو مرغوب فيه بشكل عام . فالخير بالنسبة لفرد ما قد يكون مرغوبًا فيه ولكنه عند فرد آخر لا يكون كذلك ، والعكس صحيح**(Railton,2003,P.49)** .

على أى حال يعتقد " رايلتون " بأننا عادة لا نعرف خيرنا الخاص ، نظرًا لعدم توافر الرؤية الكلية الشاملة أو المثالية للحكم على الموقف ككل ؛ فإذا توافرت، استطعنا معرفة الخير فى ظل توافق تلك الرغبه مع الجميع. ويسوق " رايلتون " عدة أمثلة لتوضيح ذلك:

المثال الأول : يدور حول قصة وظيفة " شيلاSheila " ، فكانت تعمل كصحفية ناجحة فى إحدى الصحف الأمريكية الجنوبية . إن ما كانت تتمناه وترغب فيه دائمًا هو تحقيق مستقبل مهنى ناجح ، وفى أحد الأيام تلقت عرضًا لعمل آخر فى إحدى الصحف الأمريكية والتى تحمل اسم "الكوكب اليومى The Daily Planet " فى نيويورك. للوهلة الأولى فكرت " شيلا " بقبول العرض لأنه

(**) إن رؤية "هوبز" للأخلاق قائمة على أساس أن الانسان أنانى بالفطرة، ينفر بطبعه من الاجتماع بغيره من الناس، وفى تصرفاته ما يشهد بحقيقة رأيه فى أقرانه، فهو فيما يقول:إذا همّ برحلة، سلح نفسه، وإذا أسلم عينيه للنوم أغلق أبوابه، وحتى اذا استقر فى بيته أقفل دواليبه، وهو يفعل هذا كله مع علمه بوجود قوانين وضعت لحمايته وحراسًا مزودين بالسلاح ليثأروا من كل من يريد إيذاءه. لذا يصرح "هوبز" بأن ما يعيق الطبيعة عن تحقيق غايتها فى المحافظة على الذات أن يقوم الفرد وحده دون غيره بطاعة مبادىء الأخلاق لصالح الآخرين، أو يرفض إلزام هذه القواعد متى اطمأن كل الاطمئنان إلى أن الآخرين سيعملون بها، وهو بهذا "لا يلتمس السلام بل ينشد الحرب.ومن خلال ما سبق لا داعى للدهشة من قوله بأن الخير عنده هو خير فردى ذاتى يعود على الفرد فقط. ـــ **(الطويل،2006م، ص ص 200 ـــ 206).**

(**) ودليل ذلك ــ كما يرى رايلتون ــ قد يرى البعض أن من الأفضل الخضوع لبعض القرارت الظالمة داخل مؤسسة ما انطلاقًا من إعلاء قيمة الطاعة، فى حين أن البعض الآخر قد لا يفضلون تلك القيمة ويعلون من قيمة الثورة لرفض هذه القرارت الظالمة.

يتماشى مع رغبتها الأولى والأساسية ، ولكنها بعد ذلك أخذت تتساءل عما إذا كان العرض الجديد مناسبًا لها ولظروفها الأسرية أم لا ؟ فإذا انتقلت إلى نيويورك وعملت فى هذا المنصب الجديد فلن يكون لديها وقت لتقضيه مع أسرتها ، وستفقد اتصالها بالطبيعة ، والبيئة المألوفة لها من حيث وجود الأصدقاء الذين عرفتهم لفترة طويلة. إذن فهل القيام بما كانت تتمناه " شيلا " دائمًا يعد ذا قيمة أخلاقية خيره لها أم لا ؟ " .(Railton,2003,Pp,49-50)

طبقًا لرؤية "رايلتون" لا يعد بالفعل " قيمة أخلاقية " وإنما " قيمة لا ـ أخلاقية " ، حيث إنه يدور حول مصالحها الذاتية فقط، أو رغبتها الرئيسة فى " تحقيق مستقبل مهنى ناجح " ، ولكنها كانت فى حيرة شديدة بسبب اختياراتها ، لأن ذلك سيؤثر فى استقرارها واستقرار أسرتها . بناءً على ذلك عندما توافرت لها المعلومات المتاحة والكاملة اعتمادًا على "مبدأ الرد" و" التداعى المركب " رفضت هذه الوظيفة.

المثال الثانى : يتعلق باختيارات " بيثBeth " ؛ والتى كانت تعمل كمحاسبة فى إحدى الشركات ، وكانت سعيدة بوظيفتها ، ولكنها كانت تتمنى أو ترغب فى أن تكون كاتبه روائية. وعلى الرغم من أن لديها تجربه ناجحة فى الكتابة عندما كانت فى المدرسة ، إلا أن دور النشر لم تقبل رواياتها أبدًا . لقد اعتقدت أن السبب وراء ذلك فى أنها لم تكرس الوقت الكافى للكتابة. وذات يوم استقالت " بيث Beath " من وظيفتها ، وبدأت فى الكتابة بشكل جاد فى منزلها ، لكنها فى هذه المرة فوجئت أنه من الصعب أن تركز فى عملها خاصة بعدما توافر الوقت الكافى لذلك ، وتكوّن لديها انطباع مختلف عما سبق عن الكتابة ؛ حيث أصبحت الكتابة بالنسبة لها أمرًا مملاً ومرهقًا ، وهذا ما دفع " بيث " إلى عدم الاستمرار فيه . فالتجربة الواقعية فى كون "بيث" تعمل فقط ككاتبة رواية ساعدتها على أن تلاحظ أن الأمر ليس جيدًا كما كانت تتوقع. (Railton,2003,Pp,50-51)

إن ما كان مرغوبًا فيه بالنسبة لــ "بيث" لا يشترط بالضرورة أن يكون الأنفع، بمعنى أن ما نرغب فيه بشدة لا ينبغى بالضرورة أن يتصادف مع ما هو خير لنا، كما أن ما هو خير لنا يرتبط سيكولوجيًا بتحقيق رغباتنا.

إن معنى ان يكون لديك رغبة معينة فلا يعنى أن تهتم ـــ من بين أشياء آخرى ـــ بتحقق هذه الرغبة أم لا. ولكى يحكم الفرد على أن شيئًا ما ذا قيمة فى حد ذاته، معناه أن يكون لديه فكرة بأن هذا الشىء ملائم تمامًا للرغبة فيه والسعى وراءه. إن فكرة الملاءمةappropriateness تعد هنا فكرة داخلية(*) ، لكنها قد تهتم بالرغبات التى يريد لها الفرد أن تكون فعاله فى حياته الواقعية ، فى تأمله لوقائع الحياة بوعى كامل. **(Railton,2003,P.52)**

*** ويمكن إيجاز ما سبق فى التالى :

1. ترتبط القيم بصفة عامة ، والقيم اللا ــ أخلاقية بصفة خاصة عند " رايلتون " بمبدئه الأساسى القائم على رفض التمييز بين "الواقعة" و "القيمة" ، بالرغم من وجود من يدعو إلى التمييز بينهما نظرًا لاختلاف منهج الاثنين عن بعضهما البعض . فأحكام القيمة مختلفة عن أحكام الواقع حيث أن وظيفة الأولى هى " التقييم " و " التعبير " ، بينما وظيفة الثانية هى "الوصف" و "الإشارة."

2. يعد " رايلتون " من دعاة رفض التمييز بين الواقعة والقيمة ، وعمل على هدم الحجج التى استند إليها من يدعو إلى الفصل بينهما مثل : " هيوم " ورأى أن أساسها ضعيف.

(*)تعد الملاءمه فكرة داخلية ، وذلك من خلال انعكاسها على الفرد ، فالفرد هو الذى يستطيع تحديد أى من الأفعال ملائمًا ومناسبًا له.

3. إن غرض " رايلتون " من التوحيد بين الواقعة والقيمة هو العمل على تعضيد أساسه الذى بنى عليه نظريته فى القيم والأخلاق وهو " مبدأ الرد " ، والذى من خلاله يرد القيم الأخلاقية إلى القيم اللاـــ أخلاقية والعكس، ذلك من أجل إثبات وجودها والتعرف على ماهيتها.

4. ومن ثم أضحت حقيقة القيم ، لا سيما مفهوم الخير حقيقة علائقية من خلال ارتباطها بموضوع معين . ونبع ذلك من خلال رفضه لمذهب القيم المطلقة.

5. يتمثل مفهوم " رايلتون " للقيم اللا ـــ أخلاقية فى الاقتصار على الاهتمام بالذاتية ، والتى تعد للوهلة الأولى نظرة قاصرة وضيقة ، فنحن فى البداية لا يمكن أن نعرف ماهية الخير الحقيقى لنا، ولكن من خلال توافر المعلومات الكافية والحيوية ، أو فى ظل الظروف المثالية نستطيع معرفة ماهيه الخير الحقيقى وسرعان ما نكتشف أننا جانبنا الصواب.

6. ومن ثم اتضح أنه من غير المنطقى بالنسبة للفرد المتبع للخير غير الأخلاقى أن يظل بلا معنى دون غير اعتماده على مبدأ الرد. فمن خلال مبدأ الرد يستطيع تبين واكتشاف حقيقة الخير الأخلاقى له. كذلك من خلال " مبدأ التداعى المركب " نستطيع الوصول إلى أقصى قيمة ممكنة.

وبعد تناول "رايلتون" لماهية القيم غير الأخلاقية، ينتقل لتناول القيم الأخلاقية حتى يؤسس الواقعية الأخلاقية، فهو يشير إلى أن النظرية الأخلاقية تحتاج إلى العطاء، لا إلى اعتبارها مجرد قيمة أخلاقية تدور حول "الخير" و "الشر"، لكن تدور حول معايير أخلاقية للـ "صواب" وللـ "الخطأ". إذن ليس هدف نظرية "رايلتون" تأسيس معايير أخلاقية فقط ، وإنما تطبيق تلك المعايير على مجال القيم الخلقية**(Railton,1986,P.185)** .

(جـ) القيم "الأخلاقية" عند "رايلتون" وضروة التقييم الأخلاقى:

تتشابه رؤية "رايلتون" للقيم الأخلاقية مع رؤيته عن القيم اللا ـــــ أخلاقية، وذلك من خلال الاعتماد على المفهوم العقلانى فى إدراك ماهيتهما. إن الاختلاف بالنسبة لـA)) لا يتم تحديده إلا من خلال رؤية (+A) كلى المعرفة عن نفسه وعن بيئته ولديه كل الوسائل العقلانية. كذلك (+A) مهتم بما فى صالحA)) وبالتالى ما هو خير أخلاقيًا بالنسبة لـ (A) يمكن تحديده بوضوح من خلال الرؤية العقلانية. **(Railton,2003,P.49)**

(2) ماهية القيم "الأخلاقية" عند "رايلتون: "

إذا عدنا مرة آخرى إلى مِثالىّ "بيث" و "شيلا" لوجدنا أن ما كانتا ترغبن فيه ــ طبقًا لرغباتهما الذاتيةـــ لم يكن خيرًا بالنسبة لهما. فالخير يتحدد من خلال الرغبة أو القيمة ذات الترتيب الأعلى ، وهى تلك الرغبة التى ظهرت لديهما من خلال توافر المعلومات الكاملة عن ماهية كونها كاتبة ــ فى حالة "بيث" ـــ أو الحصول على وظيفة مرموقة ـــ فى حالة "شيلا" ـــ فالرغبات ذات القيمة الأعلى أكثر تقبلاً للتغيرات ، وبالتالى تصبح أكثر ارتباطًا بهويتنا ، بل وتشكل أساسًا لفكرة القيمة. ولقد استخدم "رايلتون" تلك الرغبة ذات الترتيب الأعلى ليُعرَّف القيمة الأخلاقية للفرد كالتالى:

" إن القيمة الأخلاقية لفرد ما تتمثل فى موقفه النهائى من منطلق المعرفة الكاملة بنفسه وبظروفه، والتحرر الكامل من الخطأ المعرفى أو السقطات العقلانية الأداتية ".(Railton,2003,P.54) ولعل الرغبة ذات القيمة الأعلى فى ضوء ذلك تكون قد تحولت إلى رغبة موضوعية.

إن حقيقة أن "بيث" ــ مثلاً ــ كانت فى هذه اللحظة ترى أنها قد تمنت شيئًا ـــــ توفرت لها عنه معرفة جيدةـــــ ثم ودت لو لم تسعى وراءه إنما يشير إلى أن الرغبة التى اعتنقتها فى الأصل كانت خاطئة. ولعل الرغبة الموضوعية تقوم بمعالجة ذلك الخطأ حتى يكون ملائمًا بشكل أفضل مع اهتمام الفرد. ومن ثم يطلق "رايلتون" على ذلك الاهتمام الذى تعكسه الرغبة الموضوعية للفرد مسمى "الاهتمام الذاتى ذو الطابع الموضوعىObjectified Subjective Interest"والعكس صحيح. **(Railton,1986,P.176)** أو ببساطة الاهتمام الموضوعى**.(Railton,1986,P.177)**

ومن ثم يتضح أن هذا التحليل قد دفع " رايلتون " إلى تحليل القيمة الحقيقية غير الأخلاقية عند الفرد فى ضوء كونها هدف " الرغبات " المعلومة للشخص أو كونها توجد فى بؤرة " الاهتمام الموضوعى" للفرد . وكلما كانت الرغبة ذات ترتيب أعلى ، كانت أقرب من قيمة الخير الحقيقية للفرد كما يراه "رايلتون"، والذى " يتمثل فى أن تحقيق ما كان يريد أن يتمناه فى حد ذاته فى ظل الظروف المثالية أو بشكل أصوب، ما كان سيريد أن يسعى وراءه فى حد ذاته (لأن الرغبة تعد إحدى صور السعى وراء الشىء) إذا كان يريد أن يصل إلى ذاته الواقعية فى النهاية**(Railton,2003,Pp,54-55)**."

وبتطبيق المفهوم السابق للقيمة الأخلاقية على مثال " شيلا " لوجدنا القيمة الحقيقية بالنسبة لها هى ما قد تريده إن كانت فى موقف مثالى، حيث يتوافر لديها المعلومات الكاملة والحيوية عن حياتها الشخصية إذا قبلت المنصب الجديد . كذلك " بيث " التى كانت ستعرف ما هو خير لها إذا كان لديها خبرة كافية عن كونها كاتبة بدوام كامل. وبشكل عام ؛ فإنه بالنسبة لأى فرد تتوفر لديه معلومات واقعية وقانونية كاملة عن بنيته الجسدية ، والسيكولوجية ، وقدرته ، وظروفه وتاريخه ... الخ ، يستطيع إدراك الخير الحقيقى له .

نلحظ هنا موازاة بين مفهوم القيمة الأخلاقى السابق ومفهوم " الملاءمه "، أى ملاءمه الغاية للفرد من ناحية وملاءمتها لقدراته وظروفه من ناحية آخرى؛ وذلك عند تمثيل وتقدير كلا الطرفين بشكل مناسب. فعندما نقوم ببناء أحد الأسطح، فإن حجم العوارض الخشبية يتحدد بواسطة مفهومى " الرد " أو "الملاءمه" والذى يتألف من مجموعة من الوقائع مثل : حجم ومادة السطح، نمط البناء، وميزانية المنزل...الخ . فإذا كان ينبغى للمقاس أن يكون(8 X 2) إذن فإنه سينهار عندما نبنيه على مقاس (6 X 2)إذن فإن الوقائع المتعلقة بالمنزل والظروف الأخرى قد أدت لظهور معايير الخير الحقيقى للمنزل ، والذى ينبغى لعمال البناء اتباعها قدر المستطاع ، وبالمثل عندما نحاول بناء سفينة نجد أن أساس الرد والملاءمه للسفينة يتمثل فى مجموعة الوقائع الميكانيكية التى ستؤثر فى أداء السفينة فى البحر ، فيما يعرف بإسم "كفاءة السفينة فى البحر" ، ولعل هذه السفينة ينبغى أن يتم بناؤها تبعًا للمبادىء الفيزيائية والميكانيكية ، ولا يشترط أن تكون ذات شكل جذاب**(Railton,1986,P.185)** .

إن هذه الأمثلة توضح بشكل أكبر الارتباط بين القيم اللا ــ أخلاقية، وفكرة الملاءمه وكذلك أساس ردها إلى قيم أخلاقية. فتعد القيم أخلاقية ـــ تبعًا لمفهوم "رايلتون" ـــ فى حالة توافر المعلومات الكاملة حول الموقف الأخلاقى ككل وبعد اختبار كافة المعطيات والأسباب المؤدية لهذا الموقف عن طريق مذهب التداعى المركب حتى يمكن زيادة القيمة إلى أقصى حد. أما القيم فتعد لا أخلاقية وذلك إذا كانت تحقق مصلحة فردية فقط تعود بالنفع الذاتى على صاحبها، لذلك لا بد من إعمال العقلانية فى ذلك. لكن ما طبيعة القيم الأخلاقية عند رايلتون طبقًا لما سبق؟ هل هى ذاتية أم موضوعية أم غير ذلك؟.

(3) طبيعة القيم الأخلاقية عند " رايلتون: "

يتمثل الحوار فى فلسفة القيم ــ بصفة عامة ــ فى المقابلة بين ما هو كائن بما ينسحب عليه من قيمة تكون موضوع تقديرنا للشيء. ومن ثم لزم أن نصنف أساسين للقيمة: الوصفDescription ، والتقدير Appreciation. بمعني آخر يجب أن نميز بين وصفنا لما هو كائن بالفعل، أي إصدار أحكام تقريرية عنه ، وتقديرنا الذاتي أو الشخصى لقيمة هذا الشيء الكائن بالفعل بما نصدره حوله من أحكام.**(هنترميد، 1975م، ص 437)**

ولقد انعكست هذه الأسس على جميع المدارس التى تناقش قضية القيمة ، فجميع المدارس الفلسفية تتفق على أن أحكام القيم ينبغى أن تتميز عن أحكام الواقع (مثلما يتميز الحكم "هذا الكتاب جيد" عن الحكم " هذا الكتاب فوق المنضدة **".(إبراهيم، 1959م ، ص 59).**

ولعل أعظم الخلافات هي تلك التى ارتكزت حول مسألة طبيعة القيمة ، حيث السؤال حول عما إذا كانت القيم ذاتية أم موضوعية ؟ ، وهل القيم نسبية متغيرة تعد وسائل إلى غايات أبعد منها (كالثورة التى تُطْلّب لتحقيق السعادة) ؟ ، أم أنها قيم مطلقة ثابتة ينشدها الإنسان لذاتها ولا يلتمسها لغايات معينة (كالسعادة التى تعد خيرًا فى ذاتها) ؟**(Schiller,1964,P.584).**

أما "رايلتون" فقد اهتم بالتساؤلات السابقة، ورأى أن الحكم الأخلاقى يختلف عن الحكم المعتاد الذى نصدره عن الأشياء المعتادة التى توجد فى حديقة المنزل مثلاً. فالصدق بمعناه العام هو التوافق مع الوقائع، ويمكن التثبت من حقيقته من خلال انعكاسه على الواقع الخارجى. على النقيض من صدق الأحكام الأخلاقية، فإذا اكتشفنا صدقها تواجهنا صعوبة آخرى وهو التيقن من هذا الصدق؟ .! **(Railton,1995b,259)**

فيرجع "رايلتون" اختلاف الأحكام الأخلاقية عن الأحكام الدنيوية المألوفة إلى أن الحكم يعد شيئًا وتجسيد موضوع الحكم شيئًا آخر، فمثلاً فى بعض الأحيان قد نلحظ أن التجسيد ملائم تمامًا مثل رؤيتنا للأشياء المادية متوسطة الحجم الموجودة فى العالم الخارجى. ولكن هناك حالات آخرى قد يتطرق إليها الشك مثل: حقيقة الرياضيات، والأعداد، والكليات... الخ ـــ كما ذكرنا سابقًا ـــ لذلك هناك اختلاف بين إثبات واقعية القيمة الأخلاقية وبين تبنى اتجاه واقعى تجاه الثوابت والسمات الموجودة فى العالم الخارجى.**(Railton,1995b,P.260)**

لذلك عندما يتم النظر إلى القيم الأخلاقية يجب النظر إليها من خلال منظورين مختلفين :

المنظور الأول وهو الداخلىInternal : فيكمن فى الأطر الأخلاقية البديهية مثل : الإلزام الأخلاقى ، والمسئولية الأخلاقية ، والفضيلة الأخلاقية ... الخ حيث تعمل هذه الأطر على تجسيد الفعل وتفسير السبب الكامن وراء هذا الفعل ، وهى غالبًا ما تضم أفكارًا معينة عن المعرفة والإدراك والقوة الدافعة أو المحفزة ... بالإضافة إلى الأفكار المتعلقة بالخير الحقيقى والصواب الأخلاقى.

المنظور الثانى وهو الخارجىExternal : فنزعم جميعًا معرفتنا التامة به ، وذلك من خلال الاعتماد على السيمانطيقا. وما يثبت ذلك الروابط " السببية ـــ التفسيرية Causal-Explanatoiry " بين المجال المثار والأنشطة المعرفية للإنسان.**(Railton,1998,P.175)**

وبتطبيق الموضوعات السابقة مثل : الرياضيات والكليات ... الخ على هذين المنظورين نجد أن المنظور الخارجى يشكك فى صحتها لصعوبة الوصول اليها ، ولكننا نعتمد فى إثبات صدقها على قوة الاستدلالات العقلانية. ومن هنا ينبثق الخلاف بين ذاتية القيم وموضوعيتها ، أو نسبيتها ومطلقيتها .

من الممكن مناقشة هذا الخلاف من خلال إثارة التساؤل المتعلق بعلاقة القيم بالأشياء الخارجية؟ بمعنى آخر ؛ هل الأمانة تعد خيرًا لأنها تعجبنا ، أم أنها تعجبنا لأنها خير ؟**(Railton,1998,P.176)**

تعد الاجابة عن هذا التساؤل مثار إشكال فإذا تمسكنا بجانب دون الثانى انتقدنا الجانب الثانى والعكس صحيح . على سبيل المثال إذا التزمنا بالتفسير الحرفى لهذا التساؤل ، وقلنا أن الفرد هو الذى يضفى سمة الخيرية على الأمانة وليس العكس ، فإننا بذلك ننكر وجود لحالات آخرى غير موجودة فى الطبيعية بالاضافة إلى إنكار السمة الموضوعية لأشياء. كما أن الايمان بالذاتية يجعلنا فى مصاف النزعة الانفعاليةEmotivism مما يجعل الحكم عرضة للتغير فى كثير من الأحيان ، لأنه فى هذه الحالة بمثابة تعبير عن انفعالات المتحدث وليس الوصف.**(Railton,1995b,Pp,260-262)**

كذلك الموضوعية عَبْرّ عنها "رايلتون" على لسان "جون رولز(1921م ــ 2002 م) John Rawls"(*) والذى رأى أن البحث عن القيمة الأخلاقية إنما يتم فى الموضوعات والأشياء وليس الذات فيقول: **"إن البحث عن الصدق الأخلاقى الذى يتم تفسيره بأنه ثابت فى ضوء الترتيب المستقل والقبلى للموضوعات الخارجية والعلاقات، سواء كان طبيعيًا أو سمأويًا، وهو ترتيب مميز ومختلف عن كيفية إدراكنا لأنفسنا". (Railton,1995b,P.262)**

ويتفق "رايلتون" ــ كما نوهنا سابقًا ــ مع الواقعية التى تؤمن بالأحكام الخارجية (الموضوعية) بالإضافة إلى واقعية العالم الخارجى، وواقعية الكيانات النظرية للعلم الطبيعى، وأفلاطونية الأشياء الرياضية. فجميعهم يتفقون على مبدأ رئيس وهو فكرة أن الكيانات أو السمات المفترضة لها "الأسبقية أو القبلية والاستقلال عن أى شرط أو خبرة ترتبط بالأشخاص، وهى بهذا الشكل تعد غير ذاتية . **(Railton,1995b,P.263)**

لكن هل القيم الأخلاقية عند " رايلتون " ذاتية أم موضوعية؟

يرى "رايلتون" أن القيمة الأخلاقية ترتبط بالأفراد ، فلا وجود لأى شىء فى العالم دون وجود أفراد، فالفرد هو الذى يستطيع إطلاق أحكام تقيمية على الأشياء، بالاضافة إلى إدراكها . كما أن التقييم يرتبط دائمًا بالدافع، هذا ما قد يجعل القيم والأخلاق عرضة للتغيير والاختلاف . وهذا ما يدفع البعض للاعتقاد بوجود استقلال نسبى للأشياء ومعرفة قبلية بها. فالسمات الأخلاقية تتصف بذلك النوع من الموضوعية، لكن بالرغم من ذلك لا تستطيع السمات الأخلاقية أداء مهامها ، حتى إذا كانت موضوعيه فقط. وإنما تكمن طبيعة القيم الأخلاقية فى المركب الجامع بين كل من الذاتية والموضوعية ؛ فعلى سبيل المثال إذا أردنا تفسير سبب الإغتراب أو استياء بعض الأفراد من مجتمع ما، فإننا نفسرها فى ضوء عدم العدالة، كذلك عندما نريد تفسير سبب اهتمام البعض بسماع رأى فرد معين، فإننا نفسرها فى ضوء أمانته،

(*) جون رولز: سياسى وفيلسوف أخلاق ، من أهم نظرياته نظرية " العدالة " والتى قدمها على أنها "الانصاف" أثناء محأولته للإجابة عن سؤالين طرحهما فى بحثه عن الحرية السياسية . الأول : ما أكثر المفاهيم ملاءمه للعدالة لتحدد شروط التعاون بين الجميع؟. الثانى: ما أسس (التسامح)Toleration الضرورية لفهم حقيقة التعدد المعقول؟. من أهم مؤلفاته: " نظرية فى العدالة " ــ " الليبرالية السياسية " ــ "العدالة كإنصاف ".

تاريخ الدخول2018/8/18 -(Cp; https://www.britannica.com/biography/John-Rawls)

وأيضا تفسير عدم استقرار بعض الأبناء فإننا نفسره فى ضوء انحراف أحد الآباء ... الخ. **(Railton,1995b,Pp.270-276)**

ومن ثم نستنتج أن القيم الأخلاقية لا تعد ذاتية خالصة ولا موضوعية خالصة ، وإنما هى كامنة فى المركب الجامع بين الذاتية والموضوعية أى يمكن اعتبارها قيمًا علائقية.

*** إيجازًا لما سبق يمكن أن تتمثل ماهية القيمة الأخلاقية فى الآتى :

1. إنها تلك القيمة التى تعكس الرغبة الموضوعية للفرد ، ومن ثم تحقيق مصلحة الفرد فى ظل ظروف مثالية عند توافر المعلومات الكافية ، بالاضافة إلى الأداتية العقلانية.

2. تكمن القيمة الأخلاقية فى ظل تحقيق الرغبة ذات الترتيب الأعلى.

3. هناك اقتران بين القيمة الأخلاقية وغير الأخلاقية من خلال أساس الرد وفكرة الملاءمه.

4. طبيعة القيم الأخلاقية عند رايلتون ؛ طبيعة علائقية جامعة بين الذاتية والموضوعية.

5. اتضح مما سبق أن القيمة الأخلاقية تعمل على وجود توازن بين رغبات الفرد ومصالحه المختلفة ـــ وسنوضح ذلك فيما يلى:

(4) دور القيمة الأخلاقية فى الملاءمه بين "الرغبات" و "الاهتمامات" عبر التجربة الشخصية:

يمكن أن نطرحًا تساؤلاً هامًا ـــ قد يبدو بديهيًا ـــ نتيجة لما سبق عرضه ، وأساسًا للولوج إلى هذه الفكرة: هل يمكن للقيمة الأخلاقية أو للخير الحقيقى النهائى الذى يتم تحديده بناءً على أساس " الرد " إلى قيمة غير أخلاقية أن يوجه أفعال كل فرد من الأفراد ؟

إن إجابة "رايلتون" على هذا التساؤل هى بالايجاب **"نعم"**؛ حيث يعتقد أن الاهتمامات الذاتية الموضوعية يمكنها أن تؤدى دورًا شارحًا فى تطور رغبات الفرد من خلال توجيه الأفراد نحو التعزيز الإيجابى أو السلبى لرغباتنا السابقة، فاللذة على سبيل المثال هى الموجه الرئيس لرغباتنا. فما نريده الآن يتحدد من خلال تجاربنا على أساس أنه كان ذا لذة فى الماضى، وقصة " لونى" السابقة مع إصابته تؤكد ذلك. فأساس الرد عند "لونى" متعلق بمصلحته الموضوعية،والذى يتضمن ما يتعلق بظروفه وتركيبه الذى يحدد ـــ ضمن أشياء آخرى ـــ المذاقات الموجودة لديه، وقدرته على اكتساب مذاقات جديدة ومثال على ذلك النتائج المترتبة على الجفاف المستمر،وتأثير الأنواع المختلفة من السوائل ومدى توفرها... وهكذا إن أساس الرد هو مجموعة من الصفات الرئيسة التى جعلت لدى "لونى" اهتمام موضوعيًا معينًا. **(Railton,1986,P.180)**

فإذا سافر "لونى" مرة آخرى سيكون لديه ميل إردای أو لا إرادى إلى تجنب الأسباب التى أدت إلى إصاباته بالجفاف، وتجنب تناول الحليب. تلك العملية التى يسميها "رايلتون" بعملية "التعزيز reinforcement" أو يطلق عليها مصطلح سيكولوجى آخر وهو"ميكانيزم الرغبات Wants ــ الاهتماماتInterests " والذى يسمح للأفراد بتحقيق التعلم الذاتى الإرادى أو اللاإرداى للمصالح(*) من خلال التجربة **.(Railton,1986,P.179)**

وتعد هذه التجربة ممكنة ، لأنه من المستحيل أن يجرب الفرد السعادة ولا ينجذب إلى ما قد يحمل السعادة . إذن فإن كلمة لذة لا بد أن يكون لها قوة معيارية تمامًا مثل " خير " و "ذو قيمةValuable " .

(*) selfconscious and unselfconscious learning about their interests through experience.

ومن الصدق السيكولوجى أن يسعى الانسان وراء تحقيق استقراره الجسدى والسيكولوجى. ورغم أن الانسان ليس لديه طريقة يمكن الاعتماد عليها لمعرفة أسس الرد الخاص به مباشرة ، الا أنه قد يعرفها ويدركها بالتدريج من خلال المحاولات والتجارب المستمرة.

فالمحاولات والتجارب المستمرة غالبًا ما تُحفز الانسان على الاستمرار فى الاتجاه الذى يحصل فيه على التعزيز الايجابى . ويرى " رايلتون : "

" إن عدم وجود ضمان للرغبات المكتسبة سوف تعكس " القيمة الأخلاقية " أو "الخير الحقيقى " للفرد بشكل صحيح وبشكل كامل من خلال المحاولات والتجارب التى تثبت عدم وجود معرفة قبلية بالنتيجة ، فإذا كان هناك معرفة قبلية لما تطرقنا إلى المحاولات والتجارب . ومن المحتمل أن يعيش الفرد حياته الطبيعية دون أن يدرك بعضًا من مصالحه الرئيسة أو يتكيف معها". (Railton,1986,P.181)

لذا يؤمن "رايلتون" بوجود نمط معين من "ميكانيزم الرغبات ـــ الاهتمامات" قد يحث على نوع من العقلانية الفردية ، إلا أن ميلنا نحو تطوير هذا النوع عبر التجربة يدفعنا إلى التعاون والتضافر مع "ميكانيزم الرغبات ـ الاهتمامات" لتقديم أساس لتفسير وتقييم العقلانية الفردية Individual Rationality ليس وفقًا للرغبات والمعتقدات الحالية ، وإنما وفقًا للمصالح الموضوعية . لهذا إذا كان فعل الفرد يتم وفقًا للعقلانية الفردية، فإنه من الممكن أن يحقق مصالحه الموضوعية وخيره الجوهرى، بهذا فإن الخير الموضوعى للفرد يكون معياريًا بالنسبة له من حيث إنه يقوم بتوجيه الفرد للسعى وراء أشياء معينة وتجنب أشياء آخرى .**(Railton,1986,Pp,187-192)**

فتعد القيم الأخلاقية أو الخير الحقيقى إذن بمثابة قوة معيارية لبعض الادعاءات الوقائعية . ولعل إصدار أو قبول حكم بأن شىء ما يعد خيرًا بالنسبة لفرد ما إنما هو بمثابة توجيه لهذا الفرد إلى هذا الشىء. ففى حالة بناء سطح منزل ــ مثلاً ــ عندما نقول إن مساحته ينبغى أن تكون (2 X 8) ، فإننا نقول شيئًا افتراضيًا ووصفيًا كذلك . ووفقًا لذلك يقول "رايلتون":

" يمكن للفرد أن يستخدم الوصف للتوجيه والاقتراح ، أو يستخدم الافتراض للتعبير عن المعلومات".(Railton,1989,P.152))

ومن ثم يتضح أن الأساس المعرفى ـــ الوصفى أو الفرضى ـــ الذى اتبعه " رايلتون " يتعامل مع القيمة على أنها شىء متأصل فيه ، ثم يسعى لتفسير القوة الافتراضية لأحكام القيمة ، وكأنها تنشأ من المحتوى الواقعى لتلك الأحكام . إن هذا المدخل يسعى لوضع سمات القيمة بين سمات العالم المتاحة لنا عبر التجربة العادية ، والتى تلعب دورًا فى التفسيرات التجريبية . إنه يتعامل مع القيمة وسماتها على أنها سمات طبيعية ، وبالتالى صورة من السمات الطبيعية المتعلقة بالقيمة.

*** على أى حال يمكن للقيمة الأخلاقية توجيه أفعال الأفراد، وذلك من خلال ميكانيزم "الاهتمامات_الرغبات" عبر التجارب والمحاولات المختلفة. فالانسان دائمًا ما يسعى نحو تحقيق استقراره سواء الجسدى أو السيكولوجى بطرق مختلفة. لذا تصبح القيم الأخلاقية بمثابة أحكام معيارية لبعض الأحداث.

ولا يظهر دور هذه الأحكام أو القوة المعيارية للقيمة الأخلاقية إلا من خلال توضيح دور كلٍ من: "العقلانية الأداتية ذات الطابع الاجتماع " و "التقييم الأخلاقى" وذلك من خلال تقييم السلوك الأخلاقى وتوجيهه نحو تحقيق الاهتمامات العامة أكثر من الفردية.

(5) دور"العقلانية الاجتماعية" و"التقييم الأخلاقى" فى ترسيخ القيمة الأخلاقية:

فى حقيقة الأمر إن المبدأ الذى اتبعه "رايلتون" لتعريف القيمة الأخلاقية عبر تحقيق مصلحة الجماعة هو نفسه الذى اتبعه لتعريف القيمة اللا ـــ أخلاقية للفرد. حيث التشابه بينهما من خلال أساس الرد؛ فأساس الرد عند المجتمع يتألف من الإدراك الواقعى لمصالح كل عضو من أعضائه .

بناءً على ذلك ينظر "رايلتون" إلى فكرة **"العقلانية الاجتماعية Social Rationalism"** من خلال النظر إلى ما يتم إقراره بشكل عقلانى على أن يكون متعلقًا بتحقيق مصالح الأفراد بشكل عادل فى ظل توافر معلومات كاملة وحيوية.**(Railton,1986,P.190)**

فتتكافىء العقلانية الاجتماعية مع ما يعد عقلانيًا بالنسبة للفرد ، مع الأخذ فى الاعتبار تحقيق الخير الذاتى الفردى غير الأخلاقى لكل عضو فى المجتمع . ومن ذلك يمكننا معرفة ما إذا كانت العقلانية الاجتماعية توجد فى مجتمع ما أم لا ، وذلك من خلال النظر إلى أساس الرد داخل المجتمع ذاته ـــ فعلى سبيل المثال ـــ ذلك الفرد الذى يضحى ببعض من مصالحه التى قد يظهر حولها نوع من عدم الرضا من أجل مصلحة المجموع. فمن خلال ذلك نستطيع معرفة وجود عقلانية اجتماعية أم لا؟. بناءً على ذلك يرى " رايلتون : **" أن البناء الاجتماعى وتكوينه ـــ على سبيل المثال نمط الانتاج ، والنظام السياسى والاجتماعى ـــ ينبثق من خلال " العقلانية الاجتماعية " ، وذلك من خلال تضحية جماعة معينة بمصالحها الخاصة مما تسبب نوعًا من الاضطرابات من أجل المجموع. (Railton,1986,P.191)**

كما أن مفاهيم الأفراد عن الجماعة التى ينتمون إليها تتغير وتختلف من وقت لآخر ، وتعكس هذه التغيرات الاختلافات الاجتماعية والسياسية ، ومع ظهور معيار أكبر وهو الدين، والدولة، والحياة الاقتصادية والسياسية أصبح الاتساق والمشاركة المجتمعية شيئًا أكبر من خلال الحث على التعاون . **(Railton,1991,P.188)**

لقد بات من الضرورى المحافظة على الجماعة من خلال فن ممارسة التنازل عن الفردية من أجل مصلحة الجماعة ، والذى يؤدى إلى العالمية باعتبارها جماعة فى حد ذاتها ، أو بالرجوع إلى الجماعة التى تسعى إلى تحقيق نفسها ، فإنها تقترب إلى النوع الانسانى . ولننظر ـــ على سبيل المثال ـــ إلى الحروب الدينية فى أوروبا ، فإننا نجد بعد هذه الفترة ظهرت المجتمعات القومية ، والتى أدت إلى الحوار العام على أساس المعتقدات العامة والقيم والمعايير المختلفة للأفراد. فإذا كان التعاون المتبادل بين الأفراد يشمل ايقاف العداوات، فهذا أمر لا بد منه**(Railton,1991,P.188)** .

ومن ثم يتضح الدور الذى تؤديه العقلانية الاجتماعية من خلال تفسير القيم اللا ـــ أخلاقية المناهضة للعقلانية الاجتماعية ، التى إذا اتبعها مجتمع ما من المجتمعات ، يصاب بالاضطراب ويصبح فى حالة اغتراب نتيجة لعدم تحقيق مفهوم العقلانية الاجتماعية، ومن ثم الوصول إلى القيم الأخلاقية . **(Railton,1986,P.191)**

ونتيجة للذعر من هذه الاضطرابات والإغتراب أصبح من الضرورى الاهتمام بالعقلانية الاجتماعية والتوسع فيها ليشمل كل الأفراد المختلفين؛ وذلك من أجل تحقيق الاستقرار، واشباع الاهتمامات البشرية من خلال صياغة قيم ومصالح مشتركة، ثم الضغط على الممارسات الاجتماعية لتقترب أكثر من العقلانية. "ويتوقف صدق الممارسة العقلانية على نتيجتها والفائدة التى تكمن وراءها(Railton,1991,P.190)."

أما عن التقييم الأخلاقى : يهتم التقييم الأخلاقى بشكل رئيس بتقييم السلوك أو بالاهتمامات العامة أكثر من الاهتمامات الفردية ، بعبارة آخرى يهتم التقييم بالاهتمامات ذات المقام الرفيع والتى لا تنتشر دائمًا ... وهذا ما يدفعنا للبحث عن هذا النوع من التقييم الأخلاقى من خلال انسجامه مع الرؤى الأخلاقية الأكثر انتشارًا داخل المجتمع . فالتقييم يعكس نوعًا معينًا من العقلانية ، والمقصود بالنوع المعين ليس العقلانية الفردية، وإنما ما نسميه بالعقلانية الأداتية Instrumental Rationalism . **(Railton,1986,Pp,189-190)**

ومن ثم يتضح أن طابع التقييم يقوم الانسجام مع العقلانية الاجتماعية، لذا يعد الرأى الاجتماعى أكثر مثالية. بالطريقة نفسها التى نعد+A)) أكثر مثالية ، فهو ذو طابع موضوعى عن(A) ذى الاهتمامات الذاتية.**(Railton,1986,P.174)**

ولما كنا نعد الرأى الإجتماعى هو ذاك الرأى ذو القيمة الموضوعية بعد أن تحولت من الذاتية ، كذلك نعد القيمة الأخلاقية أو الخير الحقيقى بمثابة حدث لما هو عقلانى بطريقة وسيلية أو أداتية ، ذلك من خلال المنظور الاجتماعى**(Railton,1986,P.200)** . .

ومن ثم أضحى التقييم الأخلاقى ـ عند " رايلتون " ــ ضرورة أخلاقية لا مفر منها حيث يقول:

" قد يمكن تجنب التقييم الأخلاقى من الناحية الصورية Formally ، وخاصة إذا كان ذا طابع افتراضى Hypothetical ، ويمكن تجنبه كذلك بشكل جوهرى ،Substantivelyوخاصة إذا كانت معاييره ذات أساس ضعيف ، كما يمكن تجنبه أيضا بشكل " سيكو ــ اجتماعى-Social Psychologically " ، وخاصة إذا لم يكن له تأثير تقييمى واسع الانتشار"(Railton,1992,P.47)

ويفسر " رايلتون " هذه الفقرة ــ دفاعًا عن أهمية التقييم وضرورته فى التالى :

أولاً: إن فكرتنا عن التقييم الأخلاقى ليست ذات مجال افتراضى ، وإنما ذات أساس قوى، ومقولات كانط (*) فى المطلق تؤكد ذلك.

فقوة أساسها نابع من عقلانية استدلالاتها وتفاعل الآخرين معها ، ويؤكد " رايلتون" ذلك بقوله:

" إن الأساس المنطقى للتقييم لا يوجد فى العلل ، وإنما فى الاستدلال العقلى... كما أننا نعد أساس الأخلاق غير موجود فى عقل الفرد فقط ، وإنما فى عقول واستقرار الآخرين أيضا الذين قد يتأثرون بهذا الفرد. فالفعل غير الأخلاقى لا يصبح أخلاقيًا حتى إذا كانت له مبررات قهرية".(Railton,1986,P.49)

وتوضح هذه الفقرة أن التطبيق الصحيح للمعايير الأخلاقية على فعل ما يتماثل مع التطبيق الصحيح للمعايير المنطقية على خطاب ما . كما تعد هذه المعايير الأخلاقية مستقلة عن أى غايات أو

(*) تُطلق المقولات بوجه عام على كل تصور ذي مفهوم واسع تندرج تحته الأفكار والوقائع ؛ فهي عند أرسطو ما يحمل علي غيره بالإضافة إلي أنها أحد الأجناس العشرة التي تكون مقولات الوجود ، وهي الجوهر وأعراضه التسعة : الكيف والكم والإضافة والمتي والأين والوضع والفعل والانفعال والملك .
وعند كانط (1724 م ـــ 1804 م) : التصورات القبلية للعقل الخالص ، وترجع إلي طبيعة الحكم في مختلف صوره ، فتنحصر في أربعة أنواع من حيث الكم والكيف والإضافة والجهة .
كما يحدد كانط طبيعة المقولات في أنها الأشكال الأساسية لتركيب المعطيات ، ابتغاء الوصول إلي وحدة التجربة الموضوعية ؛ وبأنها الشروط القبلية للإدراك الحسي لعالم الظواهر ، وهي لهذا ضرورية لكل تجربة ممكنة ولا تكون التجربة ممكنة إلا بتطبيق المقولات
.ـــ (انظر ، المعجم الفلسفي ، 1983م، ص 190). (كذلك انظر ؛ بدوي ، 1984 م، ص 460)

رغبات يتصادف وجودها لدى الفرد ، فهى تعتمد على صحة الاستدلال نفسه أو استقرار الأفراد الآخرين الذين يتأثرون بهذا الاستدلال ، وهذ لا ينطبق على الجميع.

فلا يمكن تطبيق الأحكام الأخلاقية حتى على أولئك الذين يفتقرون إليها ، كذلك لا يمكن تفسير سبب عدم استجابة البعض لمثل هذه الاعتبارات الأخلاقية ، والتى نعدها مجرد نمط من أنماط الممارسة اللاعقلانية**(Railton,2005,P.431)**.

بناءً على ذلك لا تهدف الأخلاق إلى عرض الحقيقة الخارجية ، وإنما تنظر إليها فى ظل نسق معيارى لأفعالنا، حيث إن ممارساتنا تتطور وتتغير بمرور الوقت بسبب الاحتياجات البشرية المعقدة فى ظل ظروف معينة**(Railton,1991,P.187)** . وعلى ذلك لا يمكن أن يعد التقييم الأخلاقى افتراضيًا.

ثانيًا: إن بعض التقييمات الأخلاقية قد تكون ذات أساس ضعيف. وهذا غير منطقى.

لأن الأخلاق لا تقوم على مناقشة الأسس الصحيحة أو الخاطئة أكثر من اعتمادها بصورة رئيسة على استقرار الأفراد أو الوجود البشرى . وبالنظر إلى قضيتى "اللذة" و "الألم" ؛ نجدهما يؤثران فينا فعليًا وأساسهما ليس ضعيفًا، حيث إن اللذة والألم يشكلان جزءًا هامًا من نظرية الاستقرار التى تعد جوهر الأساس التبريرى للأخلاق. ويقول " رايلتون: "

" إذا كانت اللذة والألم يمثلان حالات حقيقية أصيلة يوجد دليل عليها كما يبدو لى ذلك ، لأصبح لدينا فكرة عن الاستقرار ذات أهمية ابستمولوجية ".(Railton,1986,P.44)

وطالما أن التقييم الأخلاقى للنظرية الأخلاقية قد حقق استقرار الذات وحافظ عليها، فلن يكون أساسها ضعيفًا ، حيث تستمد قوتها من قوة الوجود البشرى.

ثالثًا: يوضح " رايلتون " الأثر التقييمى للأحكام الأخلاقية والتى لا يعدها البعض صادقة. فهذا خطأ لأن الفرد الذى لا يعطى وزنًا للمعايير الأخلاقية فى مناقشاته ، لا يعد عقلانيًا على الاطلاق ـــ ذلك من وجهة نظر "رايلتون" ، ويؤكد على ذلك بقوله :

إن عقوبة هذا النوع من الأفراد ليس مجرد التهديد بكونه غير عقلانى أو غير سعيد ، وإنما عقوبته فى كونه غير قارد على رؤية نفسه ورؤية أفعاله بشكل معين دون خداع ، كذلك غير قادر على الدفاع عن نفسه وعن أفعاله فى ضوء معيار معين دون خداع وتضليل أيضًا . فهو غير قادر على أن يصبح موضوعيًا ".(Railton,1986,P.44)

من هنا يعى الفرد أهمية التقييم الأخلاقى من خلال ثِقلها المعرفى والمنطقى ، لذلك يعد الأثر التقييمى للأحكام الأخلاقية واسع الانتشار.

ومن خلال ما سبق ـــ أى من خلال رفض كلٍ من: صورية التقييم، وأساسها الضعيف، وضعف الانتشار ـــــ يعد التقييم الأخلاقى ضروريًا لحل الإشكاليات الأخلاقية من خلال وضعها داخل إطار واضح من أجل محاولة حلها، وكذلك تقييم ما يترتب على هذه الممارسات من حيث كونها "خيره" أم "شريرة " ، كما تعد هذه النظريات بمعناها الضيق مجرد نظرية تحليلية لمعانى المصطلحات الخلقية ، أما بمعناها الواسع فهى تحوى بعض الأفكار الإمبريقية ، والإبستمولوجية ، والميتافيزيقية ، والسيمانطقية، كذلك القضايا العلمية المتعلقة بعاداتنا وتقاليدنا الأخلاقية**(Railton,1991,P.185)** .

*** لا تتضح أهمية معايير القيم الأخلاقية من خلال ردها إلى قيم ـــ غير أخلاقية فقط ؛ وإنما من خلال انعكاس أثرها فى الجماعة أو المجتمع فى ظل وجود تقييم أخلاقى مناسب . فغاية الرد هو تعريف المصطلح بمصطلح آخر مناقض له ، أو تبسيط المفهوم وليس بيان الأهمية.

إن المعايير والأحكام الأخلاقية من وجهة نظر "رايلتون" غير خاضعة للتأييد العلمى بعكس الادعاءات المعرفية ذات الطابع الموضوعى، المحدد...الخ ، لذا يمكن فهمها من خلال الرد إلى معايير وقيم لا ـــ أخلاقية من خلال ما تحدثه هذه الحدود الأخلاقية فى الفكر من تنظيم ذاتى للفرد ، وما تحدثه كذلك من ممارسات اجتماعية خارجية. لذا يمكن التعبير عن القيم الحقيقية من خلال : الرغبات العليا أو الرغبات رفيعة المستوى ، وبناءً عليه تعد القيمة ذات طابع موضوعى**(Railton,2005,Pp,430-431)** .

*** ومن خلال ما سبق يمكن وصف نظرية رايلتون بالآتى :

1. إن نظرية " رايلتون " معرفية ومتوافقة مع نظرية هيوم فى الدافع.

2. إنها نظرية تهتم بالسمات الطبيعية أى لا تتطلب قدرًا ابستمولوجيًا هائلاً حتى نتمكن من تصديقها، وإنما علينا اللجوء إلى مبدأ الرد .

3. يبدو أن "رايلتون" يحاول حل جميع الإشكاليات التى ظهرت حتى الآن من خلال تجنب الاصطدام بالنظريات الانفعالية والحدسية ، وذلك من منطلق " مبدأ الرد."

(رابعًا) :ـــ تقييم نظريه" بيتر رايلتون " فى القيم الأخلاقية.

هناك عدة ملاحظات يمكن توجيهها لـنظرية- "رايلتون " فى القيم الأخلاقية. سنحاول التركيز على جانبين هامين متعلقين بهذه النظرية: تقييم الأسس التى أقام عليه نظريته ، وتقييم النظرية ذاتها.

(أ)تقييم الأسس التى أقام عليها " ربيتر رايلتون " نظريته:

لقد ذكرنا سابقًا أن " بيتر رايلتون " قد أقام نظريته فى القيم الأخلاقية على دعامتين رئيستين:

الأولى: أساس الرد .

والثانية: مذهب التداعى المركب .

(1) تقييم أساس الرد:

بالرغم من أهمية " الرد" إلا أنه قد سبب عدة انتقادات حاول "رايلتون الإجابة عنها ومنها ما يلى:

الاتهام الأول : أن "رايلتون" قد ارتكب ما يطلق عليه "مور" المغالطة الطبيعي ؛ ذلك لأنه قام برد القيم إلى سمات طبيعية.

يحاول"رايلتون" تفنيد ذلك من خلال رأيه بأن حجة السؤال المفتوح الخاصة بـ "مور" تستند على افتراض كاذب، وهو أن "الترادف" هو الاحتبار الخاص بتطابق السمات. ولعل مور يرى أن السؤال التالى: "هل الرجل غير المتزوج أعزب؟" سؤال مغلق. لأن عبارة "الرجل غير المتزوج" و كلمة "أعزب" مترادفان من خلال التعريف، ولا يمكن لأحد أن يفهم معنى الكلمتين. إن غرض "مور" من الترادف كان غير سوى حيث كان كل اهتمام "مور" هو إظهار فشل التطابق بين السمات الأخلاقية والطبيعية .

هذا على النقيض من التساؤل الخاص بـ " هل الماء هوH2o" " يعد سؤالا مفتوحًا أم مغلقًا؟ فإن "رايلتون " يعده سؤالاً مفتوحًا لأن الماء ليس مرادفًا لـ "H2o" ، كما أن هذا التعريف يمكن تغييره هو ذاته أو حتى إسقاطه تحت ضغط الاكتشافات التجريبية الجديدة أو التطورات النظرية التى قد تظهر بعد ذلك . كما يظهر غرض "رايلتون" فى أن الترادف لا يعد شرطًا ضروريًا أو كافيًا لتطابق السمات الأخلاقية مع الطبيعية. فعلى سبيل المثال : إن الادعاء بأن الماء هو "H2o" يمكن فهمه على أن الماء و "H2o" يشيران إلى السمة نفسها بالرغم من الماء ليس مرادفًا لـ "H2o". فالتطابق العلمى بين الماء و "H2o" يعد اكتشافًا تجريبيًا أكثر منه نتيجة لتحليل بديهى. ومثال آخر : الحديث عن " نجمة النهار Morning Star " ونجمة المساءEvening Star" رغم أن كلا المصطلحين غير مترادفين ، إلا أنهما يشيران للشيء نفسه ، أى النجمة نفسها لكن فى أوقات محتلفة.**(Railton,1989,P.158)**

وبهذا فإن "تهمة المغالطة الطبيعية" يمكن تفنيدها من خلال حجة تشير إلى أن اختبار الترادف لا يعد كافيًا لاثبات تطابق السمة، وأن السؤال ينبغى أن يُترك مفتوحًا دون أن يؤثر على الادعاء الطبيعى الأخلاقى.

ولكن يختلف (الباحث) فيما ساقه "رايلتون" تجاه "مور" ، وخاصة فى فكرة "الترادف". فـ "مور" كذلك اعترض على "الترادف". فلقد نبه "مور" إلى أن مجرد القول عن تعبيرين لفظيين بأن لهما المعنى نفسه، هو قول خطأ من ناحية التحليل لأنك لم تذكر معنى أيهما، فعندما نقولX ")" أخ) يعنى تمامًا ما تعنيه أن ("X" ذكر وشقيق) فما هما إلا بمثابة توكيد على أن التعبيرين اللفظيين لهما المعنى نفسه. فما أهمية هذا التعبير، وأنا لا أعرف معنى أيهما؟ هذا مثال خطأ لتحليل التصور أو الفكرة كما أراده "مور"، فتحليل التصور أو الفكرة يفترض معرفه مسبقة بمعنى العبارات التى نأتى بها كعبارات معبرة عن التصورات المراد تحليلها.**(درويش،2009م، ص ص 598-599).**

فمور لم يحدد صراحة ما عناه بالتحليل الفلسفى إلا مرة واحدة فى معرض رده الموجز على مقالة لانجفوردC.H.Lang-ford التى جاءت بعنوان: "مفهوم التحليل فى فلسفة مور" وهى المقالة التى ظهرت فى كتاب " فلسفة مور" الذى نشر عام (1942م) والتى ذكر فيها مور أن التحليل الفلسفى ــ كما يعنيه ـــ تحليل للتصورات والقضايا، وليس تحليلاً للألفاظ والعبارات.**(درويش،2009م، ص 590).**

- **الاتهام الثانى:** فقد جاءت من " ويجينز (1933م ـــ) Wiggins, D "(*) والذى رأى أن الطبيعة أو النهج الردى " غير دقيق Crude" وغير علمى بشكل مبالغ فيه .

ولقد رد "رايتون " على ذلك : معبرًا عن رؤيته للماهية العلمية ، وفى الوقت نفسه مفندًا تهمة "رايلتون" بأن رده غير علمى ويقول : **" افترض أن المقصود بالرؤية العلمية هو رؤية الظواهر الحقيقية تقع داخل نطاق المنهج العلمى، وأنه لا توجد وسيلة آخرى يمكنها التعبير بصورة معرفية واضحة عنها"..(Railton,1993b,P.318)** فما يريد " رايلتون " توضيحه ما الذى يمكن أن نفعله إذا كانت لا توجد أى وسيلة آخرى للتعبير عن الرؤى العلميه؟. وبتطبيق ذلك على الأخلاق يقول :

(*) ديفيد ويجنز : فيلسوف انجليزى اهتم بفلسفة الأخلاق وله عديد من الأعمال المنطقية الفلسفية وخاصة فى الهوية كما انه اهتم بمسألة الأخلاق البعدية. من أهم مؤلفاته : " الوجود فى المكان نفسه والزمان نفسه "(1968م) - " الانتقال إلى الليبرتارية العقلية " (1973م).

-(Cp; http://www.informationphilosopher.com/solutions/philosophers/wiggins/ تاريخ الدخول2018/8/18

" إن الفرد الطبيعى المهتم بالرد فى الأخلاق لا يحتاج إلى الاعتقاد بوجود شىء ما كالمنهج العملى... كما لا يحتاج إلى الاعتقاد بأن كل الوقائع الأخلاقية يمكن أن تصل إلينا عبر إجراء ميكانيكى محايد القيمة يعمل على جمع الوقائع.(Railton,1993b,P.318)

فالأخلاق لا تحتاج إلى منهج علمى حتى يتم اكتشافها، وإنما من خلال استخدام الرد يمكن التعرف عليها.

إن ما يلحظه " رايلتون " من نقد " ويجنز " السابق ليس مسمى العلمية ذاتها، وإنما الصفة التى صاحبته وهى " غير دقيق "، لأننا عندما ـــ كما يرى " ويجنز" ـــ نقوم برد شىء إلى شىء آخر تتداخل عناصر من الشىء الأول فى الثانى ، وبالتالى لا يمكننا تحديد ملامح الشيئين بعضهما عن البعض الآخر ، فمثلاً رد الماء إلىH2o" " ينكر بعض السمات الخاصة والمميزة للماء ، مثل أنه أحد العناصر القليلة الأساسية غير القابلة للرد ، وبالمثل رد الخير إلى شىء آخر سوف ينكر أنه شىء متفرد بذاته كما قال " مور " عنه ؛ الا أن " رايلتون " رأى أنه لا داعٍ للذعر والقلق من الرد بهذا الشكل، لأن أى عملية رد تؤدى إلى التعديلrevisionism (**) ، علاوة على أن بعض هذه التعديلات تكون محدودة بدرجة مقبولة. **(Railton,1993b,Pp,318-319)**

وبهذا تكمن إشكالية الرد عند ـــ ويجنز ـــ فى أنه غير دقيق بسبب تداخل السمات بين الشىء الذى يُردْ والشىء الأصلى ، وهذا ما لا ينسحب على مجال الأخلاق لأنها سمات فريدة من نوعها. إلا أن "رايلتون" كان مختلفًا ورأى أن الرد الطبيعى المناسب يمكنه تقديم مكونات أساسية لهذا النوع الأصلى المردود والمحافظة عليه**(Railton,1993b,P.325)** .

ويختلف (الباحث) مع ما ذهب اليه "رايلتون" بينما يتفق مع"ويجنز" ، لأنه بالفعل عند رد شىء إلى شىء ، فهناك خصائص قد تفقدها فى هذه العملية. وإذا كان هذا طبيعيًا فى مجال العلوم التجريبية ... الخ إلا أن ذلك من الصعب حدوثه فى مجال الأخلاق ، فعلى سبيل المثال عندما نرد سلوك فرد ما غير سوى إلى أسرته أو آبائه. نعتقد أن هذا الرد غير منصف لأنه إذا كان هذا صادقًا فى حالة واحدة فمن الصعب أن ينسحب على كل الحالات، حيث من الممكن أن يرجع السبب فى هذا السلوك غير السوى إلى تبدل وتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية للدولة ككل... لذلك لا نتفق مع ما ذهب إليه "رايلتون" ونتفق مع "ويجنز."

لكن بالرغم من دفاع "رايلتون" عن فكرة الرد ، ومجابهة كل الحجج التى تريد النيل منه، إلا أن "رايلتون" رأى أن السمات غير الأخلاقية لا تستطيع دائمًا تقديم رؤى تفسيرية ، على عكس السمات الأخلاقية يمكن ردها. كما أن مبدأ الرد قائم على فكرة العلاقات التماثلية فقط ، أما إذا وجدت علاقات غير تماثلية فلا ينطبق عليها. ولهذا فإن الرد يعد أمرًا إشكاليًا مما دفعه إلى مناقشة الصورة اللا ــ ردية.

(**)التعديلية : نلمح أول ظهور لهذا المصطلح فى الفلسفة الماركسية. وهى بمثابة دعوة ماركسية معدلة تختلف عن الماركسية اللينينية، وتقول بأنه من الضرورى أن تواكب الماركسية التطور، وأن تقبل التعديل كل فترة ، فمثلاً تقول الماركسية اللينينية أن اللجوء إلى العنف حتمى أثناء الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية ، إلا أن أتباع التعديلية ذهبوا إلى أنه ليس من الضرورى اللجوء إلى العنف ، وأن التدرج على مراحل أفضل، ومن فلاسفة التعديلية "ادوارد برتشتاين" ، "كارل كاوتسكى" ، وكاوتسكى من القائلين بأن الثورة الاشتراكية ممكنة من خلال النظم البرلمانية ، أى من الممكن أن تقوم الاشتراكية سلميًا. ـــ **(انظر: الحفنى ، 2000م ص 223).**

(2) مذهب "اللا ــ رد Non-Reductionism"عند رايلتون:

لقد بدأ " رايلتون " منذ عام (1995م) مناقشة الصورة اللا ــ ردية للطبيعية الأخلاقية. وفى العمل الذى قدمه بعنوان " صنع فى الظلMade In The shade " ناقش الاتساق الأخلاقى وأهداف النظرية الأخلاقية ... الخ . إلا أنه رأى أن العلاقة بين السمات الأخلاقية والسمات الطبيعية هى علاقة تابعية وليست علاقة تتطابق ــ كما رأت واقعية كورنيل من قبل ــ وأن القيم تتبع لا تماثليًا اللا ــ قيم ، أى أن العلاقة متوقفة على التتابع فقط ولا يعنى ذلك التطابق فى الماهيات.

والمقصود بهذه العلاقة التتابعية : **" إن هذه العلاقة تشير إلى الطريقة التى تكون فيها إحدى السمات موجودة بفضل وجود نوع آخر ؛ فالشىء الأساسى قد يتصف بسمة واحدة أصلية من النوع الأول التابع ، وذلك لأنه يملك سمات من النوع الرئيس ، ولكن إذا تحدد النوع الرئيس بشكل ثابت ، فإن سمات النوع الأول التابع سوف تتحدد أيضا. لذا توجد السمات التابعية ، لأن السمات الرئيسه موجودة ، وهذه تكفى لتحديد كيفية ظهور السمات التابعية".(Blackburn,1998,P.235)** فمثلاً : "اللحن Melody" قد يتبع سلسلة من العلامات الموسيقية ، كما أن سمة " الكرم " لدى شخص ما قد تتبع ما يفكر فيه فعليًا ويفعله . ويعد فعل الشخص الذى يشابه " الكرم " هو الأساس ، كما يعد الكرم كسمة أخلاقية تابعًا للفعل. ويقول "رايلتون":

" إن أمانة بوب Bob مثلاً تتبع سيكولوجيته ، والظلم الذى يوجد فى مقاطعة " ترانسلفانا Transylvan " يتبع تركيبها المؤسساتى ، وعدم المساواة الاجتماعية بها . إنها تلك السمات السيكولوجية، والاجتماعية والسياسية ... الخ التى تقوم بمهمة التفسير والتوضيح ". (Railton,1998,P.178)

ويُفهم من فكرة التابعية أنها مجرد محاولة لمنع ظهور علاقة غامضة أو تطابقية بين سمات من مستويين مختلفين. فمن ناحية إذا كانت العلاقة غير محكمة، ومفككة فإنها تصبح غامضة لأنها سوف تعجز عن تفسير كيف أدت سمات المستوى الأدنى إلى ظهور سمات المستوى الأعلى؟. ومن ناحية آخرى؛ إذا كانت العلاقة محكمة بشكل صارم وجامد ، فإن سمات المستوى الأعلى تصبح بمثابة سمات أساسية للمستوى الأدنى منها، ولكن تم وصفها بشكل مختلف. ومن ثم يقدم تصور التابعية مسارًا جذابًا بين الرد الكامل لسمات المستوى الأعلى إلى سمات المستوى الأدنى منها أى بين السمات الأخلاقية واللاأخلاقية عند رايلتون، كما قد يؤدى للتخلص من القلق الميتافيزيقى ولكن دون الخوض فى إشكاليات الرد**(Blackburn,1998,P.237)** .

بناءً على ذلك يلحظ "رايلتون" أن السمات الأخلاقية تتبع السمات اللاــ أخلاقية لكن بطريقة "غير تماثلية"، أى ليس هناك تطابق فى ماهيتهما ، مما قد يسبب نوعًا من الاختلاف فيما بينهما. بالإضافة إلى ذلك يلحظ ان الأحكام الأخلاقية لا تعمل بشكل سيمانطيقى لتقرير حالة طبيعية ما بقدر ارتباطها بشكل وثيق بهذه الحالات ، بمعنى أن الصفات الأخلاقية تتأسس فى الصفات الطبيعية ، ولا حاجة إذن للسيمانطقية. ومن ثم تعد هذه العلاقة التأسيسية بمثابة تابعية لا تماثلية لما هو أخلاقى وليس ما هو غير أخلاقى ؛ حيث يقول " رايلتون " :**"إن علاقة الأخلاقى باللا ـ أخلاقى ليست علاقة تبادلية ، وإنما علاقة ضرورية فاللا ــ أخلاقى يجب أن يؤسس أو ينتج من خلاله الأخلاقى.(Railton,1995,P.102) ومن خلال نقاشه لفكرة التابعية اللاتماثلية ؛ يرفض "رايلتون " مبدأ الرد الذى قبله سابقًا بقوله "لاشىء من ذلك يستلزم ردًا طبيعيًا(Railton,1995,P.102)."**

وكان نتيجة لقبوله أو تأييده لمبدأ اللا ــ رد تقبله للتقسيم الإشكالى الذى رفضه سابقًا بين " يكون Is" و " ينبغى Ought" على عكس رؤيته التى قدمها فى مقاله: " الواقعة والقيمة Fact and Value" حيث زعم بوجود فجوة بين " يكون " و " ينبغى " ، لكنه عدّله لا حقًا. واستند فى ذلك إلى أن الابتكار فى النظرية التجريبية ــ مثلاً ــ لا يشترط حدوثه فى الأخلاق بالطريقة نفسها التى نحكم بها على الابتكارات سواء فى الفيزياء أو الكيمياء ؛ ذلك لوجود فجوة منطقية بين أى حقيقة مزعومة وأى استنتاج تم التعبير عنه فى صورة أخلاقية. **(Railton,1995,P.104)**

وعندما يتم الاقرار بوجود الفجوة بين "يكون" و "ينبغى" ، عندئذ يمكن أن يتحقق استقلال الفكر الأخلاقى عن السمات الطبيعية ، حيث إن التابعية اللاتماثلية للسمات الأخلاقية لا تضمن أن تحديد السمات الطبيعية للعالم الواقعى يشير بشكل بديهى إلى وجود أى سمات أخلاقية.

ينتقد (الباحث) رايلتون فى ذلك ؛ فهو متردد ، تارة يكون مع "مبدأ الرد" الذى يؤسس نظريته فى القيم الأخلاقية عليه ، وتارة آخرى يكون مع مبدأ "اللا ـ رد". وفى رأيى يعد هذا التردد نتيجة منطقية للتأويل القائم على الخلط بين مجالين مختلفين: الأخلاق والطبيعة ، ذلك عبر خدعة التأويلات التجريبية والعلمية . قد أتفق فى أنه يمكن أن نخلط بينهما بغرض تبسيط الأفكار المجردة، لكن أرفض الخلط من أجل إعلاء مجال على مجال آخر. كما يعد موقف "رايلتون" هذا مختلفًا بصورة جذرية مع موقف مدرسته التى ينتمى إليها "واقعية ــ كورنيل" التى بدأت وانتهت بتابعية السمات الأخلاقية إلى السمات الطبيعية ولا يوجد انفصال فيما بينهما،إلا أن "رايلتون" بدأ مع هذا الاتصال، وفى النهاية دعا إلى الانفصال بينهما.

(3) تقييم مذهب التداعى المركب:

قد نتوهم أن لمذهب "التداعى المركب" مميزاتٍ عدة نظرًا لأن هدفه هو زيادة القيمة لأقصى حد. لكن فى حقيقة الأمر لهذا المذهب إشكاليات عدة ، تلك الإشكاليات التى أثارها " مايكل ستوكر Michael Stocker" (*) والتى سنتتبعها فى هذا التقييم .

زعم "ستوكر" أنه إذا تبنى فرد ما نظرية معينه ، فإنه يستلزم أن تكون هناك اعتبارات آخرى دافعة له لهذا الاهتمام بل يمكن القول إنه قد وقع أسيرًا لهذه النظرية. فالفرد هنا قد تم انتزاعه من إحدى أوجه الخير العظمى فى الحياة ، وهى الاتساق النفسى Psychological Coherence ، حيث اتساق دوافع ورغبات الفرد مع عقلانيته وقيمه وتبريراته المختلفة. ولقد أشار "ستوكر" إلى أن هذه الحجة تنطبق على معظم النظريات الأخلاقية المعاصرة ، ومن بينها أيضًا نظرية التداعى المركب لـ "رايلتون" ، حيث إن محور نظرية "رايلتون" قائم على الزعم بأن أتباع نظرية التداعى المركب ليسوا مضطرين لأن يتم تحفيزهم من خلال أسباب معينة قد تكون غير متسقة مع بعضها أحيانًا ، وإنما يحاولون تجريب كل الأسباب ، ثم عزل بعضها بغرض الوصول إلى زيادة القيمة كما أشرنا سابقًا . **(Stocker,1976,Pp,453-454)**

(*) مايكل ستوكر : أستاذ فلسفة الأخلاق والسياسة بجامعة " اروين Irwin" . تقع معظم كتاباته فى تخصص علم النفس الأخلاقى ، دائما ما يكتب عن : " العاطفة " و " المؤثرات " والدافع " و "اللذة " و" الصداقة " والمحبة " ...الخ . فى كتابه "القيم المتعددة المتصارعة Plural and Conflicting Values (1990م) قام بتطوير نظرية أخلاقية تأخذ على محمل الجد تجاربنا الأخلاقية الملموسة ، بما فى ذلك تجاربنا فى الصراع الأخلاقى.

تاريخ الدخول (Cp; http://thecollege.syr.edu/people/faculty/pages/phi/stocker-michael.html)- 19/8/2018م

فالفرد تبعًا لمفهوم ستوكر واقع تحت ضغط سيكولوجى هائل بين أسباب ودوافع الفعل من جانب، ومن جانب آخر بين مبادىء النظريات الأخلاقية المختلفة.

لهذا يواجه التداعى المركب اشكاليتين رئيستين:

الإشكالية الأولى: كيف يمكن للفرد أن يدرك أن فعله الذى يرغب فيه هو نفسه ما تقرره النظرية الأخلاقية أو يفعل ما تقوله النظرية بشكل مباشر.

الإشكالية الثانية: يقع أتباع التداعى المركب تحت قدر ل من الضغط النفسى نتيجة للحاجة إلى الفصل بين دوافعه، وبين ما تمليه عليه النظرية الأخلاقية. بمعنى آخر أى النظريات ينبغى اتباعها أو أى النظريات ينبغى أن تظهر فى ذهنه عندما يفكر فيما ينبغى فعله**(Stocker,1976,Pp,454-455)** .

إذن **تكمن الإشكالية الأولى فى مقدار الضغط النفسى** الواقع على الفرد المتبع لمذهب التداعى المركب. فهذا المذهب لا يعتمد على الاهتمام بالسيكولوجية الداخلية للفرد بقدر اعتماده على الأسباب، لأنه يعتقد أنها ليس لها أى دور تحفيزى فى لحظة اتخاذ أى قرار من القرارات. فيجب على الفرد أن يفكر بطريقة غير نمطية حتى يصل إلى أفضل النتائج. لذا يقول: "لا ينبغى للفرد أن يفعل كما اعتاد أن يفعل، وخاصة إذا كان هذا الفعل لا يتسق مع العيش فى الحياة المبررة أخلاقيًا من منظور التداعى. **(Railton,1984,P.151)**

ولكن بالنسبة لستوكر يرى أن الاهتمام بالأسباب أكثر من الدوافع الداخلية للفرد لا يمكن ان يوجه أتباع التداعى المركب بشكل جيد نحو كيفية تحقيق هذه الغاية. وفى الوقت ذاته لا يمكن انكار هذه الأسباب المؤدية إلى التداعى ، لأنها لا تزال تؤثر فى الفرد. فمن الصعب تخيل شخص ملتزم بمعيار معين فى إصدار حكمه بالصواب وبالخطأ ، وفى الوقت نفسه لا تتدخل هذه الاعتبارات فى اتخاذ القرار. فمن غير المنطقى أن يكون للفرد شخصية خاصة ينبغى اخفاؤها عن الآخرين، لكن ما بالك فى شخصية خاصة ينبغى اخفاؤها عن نفسك؟!.**(Stocker,1976,P.458)**

بالنسبة لستوكر يعتقد مؤيدو التداعى المركب أن الاعتبارات أو الأسباب المتداعية هى كل ما يهم وليس الفعل فى حد ذاته وحتى الآن لا زلنا نحاول تحديد كيف تبدو عملية اتخاذ القرار حتى عندما تشير مجموعتى الاسباب (المشار إليهما) إلى الفعل نفسه. ولعل الضغط الواقع على الفرد نتيجة المجموعتين المختلفتين من الأسباب أو الدوافع تزداد قوته، خاصة عندما تشير كل مجموعة إلى فعل مختلف. فعلى سبيل المثال: إذا وضعنا فى الاعتبار قبل اصدار حكم معين الخير أو التعاطف لمن نحبهم بشكل مسبق، قبل دراسة باقى الأسباب، فإلى أى مجموعة من الأسباب سوف ينحاز الفرد؟ قد يقرر الفرد ذلك بناءً على التقييم الراسخ فى معتقداته الأخلاقية، أو بناءً على التقييم القائم على الأشخاص الذين يعد وجودهم محورًا رئيسًا فى حياته. ربما يمكن اتخاذ القرار، ولكن هذا سيتم عبر صراع ينبغى تجنبه كلما أمكن ذلك.

أما الإشكالية الثانية فتظهر من خلال كثرة المطالبDemandingness ، ويشير هذا إلى أن الأخلاق لا تتطلب منا الكثير كما يتطلب مذهب التداعى المركب. فمن خلال هذا المذهب ندخل فى سلسلة كبيرة من الاختيارات التى تمكننا من الاختيار الأمثل ذلك من خلال الاعتماد على فكرة آخرى وهى الإغتراب عن أفعال معينة، بغية الوصول إلى زيادة القيمة .**(Shelly,1984,Pp,239-244)**

فإذا سلمنا بوجود أفعال معينة تزيد القيمة عن طريق عزلها عن بعض القيم الفردية التى قد نظن انها تزيد من القيمه ، الا اننا نتساءل كيف لأتباع مذهب التداعى المركب أن يجدوا ويتبعوا تلك المجموعات من الأفعال ؟ ، أو يوازنوا الموازنة الصحيحة بين كل هذه الأفعال.

بالطبع لا نستطيع الموازنة ، فمن الممكن التضحية بقدر كبير من القيمة من خلال إعطاء قدر كبير من الاهتمام لمن نحب ، كما يقول "جوان" فى المثال الذى قدمه " رايلتون " بأى طريقة أعلم أننى لا أستطيع أن أضع الأسرة دائمًا فى المقام الأول. فالعالم ليس بذلك المكان الرائع الذى يسهل فيه التقهقر والرجوع إلى دائرتك الصغيرة(**Railton,1984,P.150** .)

ومن هنا لا نستطيع التحديد عن طريق تقييم كل الاختبارات المتاحة أى الأفعال هى الصحيحة ؟ هل كما فعل "جوان" عندما تخلى عن خدمة مجتمعه وأصدقائه، وقرر أن يكون مع زوجته فقط، كان فعله ذا قيمه عليا ؟ أم أنه لو تخلى عن زوجته لصالح خدمة المجتمع، فهل يكون فعله ذا قيمة كذلك ؟.

إذن يمكن أن نستنتج أن "رايلتون" مكبل بقيد شديد، حيث إن الاهتمام بمذهب التداعى قد يمنع الفرد من تكوين صداقات تسمح له بزيادة القيمة من خلال التضحية من أجل الآخرين، لأنه سيقع تحت ضغط نفسى هائل، فى حين أن عدم الاهتمام بالتداعى قد يمنع الفرد من معرفة أى الأفعال سوف تزيد القيمة.

*** بصفة عامة بالرغم من أهمية الأسس التى تطرق إليها " رايلتون " فى نظريته للقيم الأخلاقية الا أن الشك يتطرق إليها ، بل يمكن القول إن الشك قد وصل إلى رايلتون ذاته ، فى بداية نقاشه لمبدأ الرد كان مقتنعًا به ، إلا أنه حاد عنه فى عام(1995م) ، وأصبح مؤيدًا لعدم الرد ، وتخلى عن المبدأ ذاته. فتارة يكون مع الرد وتارة آخرى ، ضده مما يحير القارىء نوعًا ما . كذلك مبدأ التداعى المركب بالرغم من أهميته إلا أن " رايلتون " قد أهمل الجانب السيكولوجى فيه ، وجعل من يتبعه تحت ضغط نفسى هائل.

(1) : تقييم نظرية القيم الأخلاقية عند " رايلتون:"

يمكن تقييم هذه النظرية من خلال اشكاليتين رئيستين:

(1) إشكالية التقارب بين السمات الأخلاقية والطبيعية.

(2) إشكالية العقلانية الأداتية.

(3) التشابه بين نظرية "رايلتون" ونظرية الملاحظ المثالى Ideal Observer

(1) إشكالية التقارب بين السمات الأخلاقية والطبيعية وتبريرها:

يرى " رايلتون " أن الأحكام الأخلاقية ظواهر " بينشخصيةInterpersonal " معقدة ــ قائمة على التفاعل بين الأشخاص ــ حيث يصعب إثبات وجود الوقائع العامة وخصائصها ، نظرًا لتعدد أبعاد التقييم المعمول بها ، الأمر الذى يؤدى لظهور مشكلات المقارنة ، ولعل اللجوء إلى اعتبارات المشابهة قد يساعدنا فى تفسير السبب وراء وجود اتفاق أخلاقى عام فى بعض النواحى الأخلاقية ، كما فى حالة حفظ الوعود ، وقول الصدق ... الخ . بناءً على ذلك تعد السمات الأخلاقية عند رايلتون سمات طبيعية مثل ("الماء " إلى " H2o ") . **(Railton,1993C,Pp,281-283)**

وبختلف (الباحث) مع رايلتون فى ذلك ، حيث إنه إذا كان محقًا فى ذلك ، فإن صدق القضايا الأخلاقية يمكن معرفته بالكيفية نفسها التى يُعرف بها صدق القضايا فى العلم التجريبى، وينبغى أن يحدث اتفاق بين الأفراد حول هذه الوقائع بالكيفية نفسها التى نتفق من خلالها على وقائع العلم التجريبى. ولكن فى الحقيقة هناك تشعب هائل واختلافات فردية حول التقييمات الأخلاقية فى جميع أنحاء العالم. كما يبدو أن المعايير الأخلاقية لم تتقارب تاريخيًا حول العالم ، وكذلك المعتقدات العلمية.

حاول "رايلتون" عمل المقاربة بين السمات الأخلاقية والطبيعية من خلال محاولته لتبرير كل من الخير الموضوعى الأخلاقى للفرد بالكيفية نفسها التى حاول بها تبرير الخير الأخلاقى للمجتمع. أما بالنسبة للأول فإن الخير الموضوعى للفرد يرتبط بأساس الرد الخاص به ، والذى يتضمن قدراته، وبيئته ونسقة الانفعإلى ... الخ. أما بالنسبة للثانى فإن الخير الأخلاقى للمجتمع يرتبط بالعقلانية الأداتية الاجتماعية التى ترتبط بإشباع كل الاهتمامات اللاـــــ اخلاقية لكل عضو فى المجتمع." وهذا يعنى ما يتم الموافقة عليه عقلانيًا إذا أمكن تفسير مصالح كل الأفراد ذات الصلة بشكل متكافىء فى ظل توافر المعلومات الكاملة والحيوية**(Railton,1986,P.150 .."**)

لكن بالرغم من وجود التشابه بين الحجتين ، إلا أن (الباحث) يرى أن هذا التشابه قد يبدو زائفًا نظرًا لأن كلا المدخلين يتعارضان مع بعضهما البعض ، من حيث أن أحدهما داخلى والآخر خارجى ، فمثلاً يعد السبب الذى يجعل الفرد يسعى نحو تحقيق مصالحه الذاتية سببًا داخليًا ، حيث إن البشر لديهم دافع لملاحقة الخير بالنسبة لهم ، بينما السبب الذى يجعل فعل الفرد أخلاقيًا هو سبب خارجى ، ذلك لأنه قد يتخلى عن بعض من مصالحه الذاتية نزولاً على مصالح الآخرين.

كما أن صفة العقلانية التى يطلقها على كثير من الأفعال لا تعد الفعل أخلاقيًا. فعلى سبيل المثال إذا رجعنا إلى مثال "شيلا" التى ضحت بوظيفتها المرموقة من أجل أسرتها. فإذا عكسنا الموقف ووجدناها قبلت الوظيفة وحققت نجاحًا هائلاً على حساب أسرتها، فإننا على التو سنعده جميعًا غير عقلانى. ولكنها من منظورها الخاص ستجده عقلانيا، لأنها حققت مصلحتها الذاتية فقط. فلماذا تتبع المعايير الأخلاقية فى حين تستطيع تحقيق المزيد من الخير الذاتى غير الأخلاقى من خلال انتهاك تلك المعايير ؟ .

صفة العقلانية ليست هى التى تجبر الفرد على اتباع المعايير الأخلاقية، حيث قد توجد أعمال تحقق مصلحةً لفردٍ ما قد ينقدها الكثير من البشر ، ويتم الحكم عليه بأنه غير أخلاقى.

مثال آخر: استغل أحد التجار الذى كان يعانى من دين شديد اما أن يسدده فى الميعاد المتفق عليه أو سيدخل السجن عدم الرقابة على الأسواق ، ورفع أسعار بضاعته حتى لا يتعرض للسجن . فمن منظور التاجر قد حقق الخير الخاص به على حساب انتهاك المعايير الأخلاقية . وبهذا يتضح أن تبرير الخير غير الأخلاقى يختلف تمامًا عن الخير الأخلاقى بالرغم من أن " رايلتون " يعدهما متماثلين.

(2) إشكالية العقلانية الأداتية:

لقد اتخذ "رايلتون" مدخلاً تجريبيًا للطبيعية الأخلاقية معتمدًا فيه على العقل الأداتى ".وكما اقتبسنا سابقًا من حديث "رايلتون" عن العقل الأداتى، فإنه يقول: " إن خير الفرد يتمثل فيما يريده هو ذاته، أن يرغب فيه أو يسعى وراءه ، ذلك إذا أراد التأمل فى موقفه الحالى من وجهة نظر قائمة على المعلومات عن نفسه، وعن الظروف التى من حوله، وتخلو تمامًا من الخطأ أو السقطات المعرفية للعقلانية الأداتية . . **(Railton,2003,P.54)**

فمثلا ــ كما ذكرنا ــ لاحظت "بيث" أن التفرغ للكتابة لم يمثل حياة جيدة لها ، كما أن " لونى" قد كون عادة تناول المشروبات الغازية، وتجنب تناول الحليب عند السفر. فالمثالان يظهران أن الأفراد عندما يكتسبون معرفة أفضل بأنفسهم وظروفهم، فإن رغباتهم غالبًا ما تتماثل مع مصالحهم الموضوعية، وهذا ما يعد عقلاً وسيليًا.

وفقًا للمثال سالف الذكر:" يعبر العقل الأداتى عن أى الوسائل تؤدى إلى أى الغايات وخاصة عندما يحدث اختلاف بشأن الوقائع والغايات القصوى. وهذا ما دفع بعض الفلاسفة، لا سيما" كرستيين

كورسجارد (1952م ــ ....)Korsgaard,C "(*) إلى نقد العقل الأداتى حيث إنه عقل ناقص يحتاج إلى الاستكمال، وذلك لأن الأداتية لا يمكن أن تعمل بمفردها. وما لم يتم إضفاء صفة المعيارية إلى غاياتنا ، فلن يكون هناك حاجة لنتخذ إليها الوسيلة. إنها ترى أنه يمكن تلخيص جوهر المشكلة فى الآتى:

إذا كان العقل الأداتى هو العقل الوحيد المستخدم ، فلا يمكن أن يكون معياريًا ، لكن إذا أضيف اليه شيء من المعيارية ، فإن الرؤية التجريبية ستحول نفسها إلى الرؤية المضادة . **(Korsgaard,1997,Pp,251-252)**

وإذا قمنا بتطبيق ذلك على رؤية " رايلتون " سنلحظ أنه قام بتجاهل ذلك " العقل المتأنى Prudential reason (**)" فى نظريته ، عندما زعم أن العقل الأداتى هو العقل الوحيد اللازم وتجاهل سائر المبادىء العقلانية الأخرى.

فوفقًا لـ "كورسجارد" هناك ثلاثة أنواع من المبادىء المقترحة كمتطلبات للعقل العملى Practical Reason وهى المبدأ الأداتى ، ومبدأ التعقل Prudence ، والمبدأ الأخلاقى . فالمبدأ الأداتى يستلزم من الفرد أن يتخذ وسائل للوصول لغاياته الموجودة ، أما مبدأ التعقل فيستلزم من الفرد أن يسعى وراء الخير العام والذى قد يرتبط بمصالحه الذاتية أحيانًا ، وأما عن المبدأ الأخلاقى فيستلزم من الفرد أن يعزز مصالح الآخرين. وتضيف أن الفلاسفة التجريبيين وأتباعهم فى علم الاجتماع قد جعلوا من الاختلاف بين المبدأ الأداتى ومبدأ التعقل أمرًا مبهمًا من خلال ذلك الافتراض غير المضمون بأن الخير العام للشخص هو ما يرغب فيه فعلاً. وبالتالى فإن الفعل المتعقل هو مسألة اتخاذ الوسيلة للهدف الحقيقى الصادق ، ويعد المبدأ الأداتى هو الأمر الوحيد غير الأخلاقى الذى نحتاج إليه. **(Korsgaard,1997,P.218)**

وبتطبيق ما آلت إليه كورسجارد نجد أنه من الخطأ قصر الخير العام لفرد ما على ما يرغب فيه فعلا ، مما يجعل العقل مجرد أداة فقط ، هذا ما قد وقع فيه " رايلتون " ، فبالرغم من أنه لا يُعرف الخير العام للفرد بأنه رغباته المباشرة أو الموضوعية ، إلا أنه يعتقد أن ما يريده الفرد فعلاً فى ظل الظروف المثالية هو بالفعل خيره الموضوعى الأخلاقى . وهذا ما رفضته "كورسجارد" ، حيث رأت أن العقل الأداتى وحده قاصر لا يمكنه أن يخبرنا عن أى الغايات يجب أن نختار ، ولكنه يخبرنا فقط بحقيقة أن الفرد تصرف بهذا الشكل ، لعلمه بأن هذا التصرف سيعزز من غاياته الموجودة بالفعل. ومن ثم فقد استخدم "رايلتون" بعض المبادىء العقلية الآخرى دون أن يعى.

فإذا عدنا مرة آخرى إلى الأمثلة التى ذكرها " رايلتون " عن " لونى " أو " بيث " يمكننا أن نتساءل من خلالها: هل لجأ كلٌ من " لونى " و " بيث " إلى العقل الأداتى فقط ؟ .

(*)كورسجارد : أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد. انصبت اهتمامتها الفلسفية على الفلسفة الأخلاقية وتاريخها ، والعقل العملى، والمعيارية والعلاقات الأخلاقية بين الإنسان والحيوانات الأخرى.

من أهم مؤلفاتها : " مرافقة المخلوقات : واجباتنا تجاه الحيوانات الأخرى Fellow Creatures: Our Obligations to the Other Animals (2018م).

تاريخ الدخول 19/8/2018م (Cp; http://www.people.fas.harvard.edu/~korsgaar/index.html)-

(**) يوجد عدة ترجمات لمصطلح Prudence مثل : المتأنى ، البصير ، الحذر ، الحكيم ، المستبصر... الخ ، جميعها يدل على معنى واحد وهو العقل صاحب الحكم والحصافة.

قبل الاجابة عن هذا السؤال لا بد من ملاحظة أن "بيث" استنتجت أن الاخفاق المستمر فى مهنتها ككاتبة قد بدأ يهدد صحتها النفسية، كما أن "لونى" اقتنع بأن شرب الحليب سوف يزيد من سوء حالته. إذن من الواضح أن اهتمامهما بالاستقرار النفسى والجسدى دور هام فى عملية اختيار الأهداف أو الابتعاد عنها. بمعنى آخر نجد أن مقدمات القصص هى كالتالى: "بيث" اختارت الاستقرار السيكولوجى كغاية نهائية ، "لونى" اختار الاستقرار كغاية نهائية . ومن الواضح أنهما لم يعتمدا على العقل الأداتى فقط حتى يصلوا إلى هذه الغايات النهائية ، ذلك لأن العقل الأداتى يجعلنا نختار الوسائل الأفضل فقط لتحقيق الغايات دون النظر إلى الاعتبارات الآخرى سواء الجسدية أو السيكولوجية ، فهو وسيلة فقط، ولم يستطع هذا العقل الأداتى أن يفسر لنا كيف نختار؟ ولماذا نختار ؟ وهذا ما تجاهله "رايلتون" ، ولكن السماح لأبطال قصصه بتبنى قيم معينة قبل أن يستخدموا العقل الأداتى يتفق مع رؤية "كورسجارد" بأن العقل الأداتى ناقص. لذا نعتقد أنها كانت محقة عندما رأت أن العقل الأداتى لا يمكن بمفرده أن يقدم لنا سببًا لفعل أى شىء، لأنه يخبرنا فقط أو يرشدنا فقط إلى الوسائل التى من الممكن أن تحقق غاياتنا.

(3) التشابه بين نظرية "رايلتون" فى القيم الأخلاقية ونظرية الملاحظ المثالى Ideal Observer Theory:

قد نلحظ أن بنية الواقعية الأخلاقية عند "رايلتون" تشبه إلى حد كبير بنية "نظرية الملاحظ المثالى" والتى قدمها بشكل قانونى " رودرك فيرث (1917م ــ 1987م)Firth,Rodrick "(*) وقام بمراجعتها "ريتشارد برندت (1910م ـــ 1997م) Brandt,Richard "(**) ،حيث حصر " رايلتون " نطاق السلطة التقييمية للملاحظ المثالى وجعل كلاً منا الملاحظ المثالى الخاص بنفسه(***) .

أما عن نظرية الملاحظ المثالى فترى أن الفعل الصحيح أخلاقيًا هو ما يقره الملاحظ المثالى ، الذى يتمتع بالصفات الآتية: " كلى الإدراكOmniperception " ، " لامبالٍ Disinterested"،"هادىء Dispassionate " ، " مستعد Consistent" و "سَوى Normal"... الخ فى النواحى الآخرى.**(Firth,1952,Pp,318-329)**

لكن بالرغم من أن "رايلتون" يرى أنه ليس من الضرورى أن يكون الفرد لا مباليًا أو هادئًا ... الخ، إلا أنه يرى أن الفرد يحتاج إلى معلومات كاملة كى يرغب فيما هو خير له بشكل موضوعى. فرؤية

(*) رودرك فيرث : أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد . ذاع صيته من خلال نظرية الملاحظ المثإلى ونظريته التجريبية الأمبريقية. من أهم مؤلفاته :فى الدفاع عن التجريبية الأمبريقيةIn Defense of Radical Empiricism " (1998م).

تاريخ الدخول19/8/2018م -(Cp; http://www.oxfordreference.com/view/10.1093/oi/authority.20110803095820228)

(**)براندت :فيلسوف أمريكى نفعى قضى معظم حياته العملية بجامعة ميتشجان ، من أهم مؤلفاته : النظرية الأخلاقية (1959م) ، ونظرية الخير والصواب (1979م).

تاريخ الدخول 19/8/2018م -(Cp; https://www.britannica.com/biography/Richard-B-Brandt)

(***) واتضح هنا من خلال رؤيته للقيمة الأخلاقية والتى اشترط فيها توافر الظروف المثالية والمعلومات الكاملة للفرد حتى يستطيع الوصول إلى القيمة الأخلاقية ، وهذا ما نعده متشابهًا مع نظرية الملاحظ المثالى. (الباحث)

"رايلتون" هنا تشبه رؤية "براندت" الذى قام بمراجعة نظرية "فيرث". والذى استبدل مصطلح "الملاحظ المثالى" بـ "الشخص العقلانى تمامًاFully Rational Person " ، ذلك الشخص الذى يختلف عن "الشخص كلى المعرفة Omniscient ، أو اللامبالى الهادىء" أى الشخص العادى ؛ فى الآتى :

1. الشخص العقلانى بشكل كامل: يُعرف على أنه الشخص الذى يحسن استخدام كل المعلومات المتاحة، ولكنه ليس كلى المعرفة أو كلى الإدراك.

2. وهو كذلك الشخص الذى تتسع رغباته من خلال العلاج النفسى المعرفى Cognitive Psychotherapy.

3. ليس هناك أى ضرورة حتى يصبح هذا الشخص لا مباليًا أو هادئًا مثل الشخص السوى، ولكنها مسألة تجريبية سواء كان ذلك أم لا**(Brandt,1979,P.225)**.

إن رؤية "براندت" فى العقلانية لا تهمل الرغبات الغريزية ، وإنما تتفق معها ، ويظهر ذلك فى اختيار الأفعال المناسبة ويقول: "إذا كان الفرد لديه رغبات غرائزية، وكان لديه كل المعلومات المتاحة علميًا نصب عينيه ، وفى محور اهتمامه، فإنه سوف يكون على استعداد لأداء هذا الفعل. "**(Brandt,1979,P.11)**وبالتالى فإن الفعل يكون عقلانيًا بشكل أداتى؛ أى أنه سيكون وسيلة لتحقيق الرغبات الغريزية ، التى من العقلانية أن تكون لدى الفرد.

لكن بالرغم من اتفاق "رايلتون" و"براندت" حول نظرية الملاحظ المثالى ، لكن هناك عدة إشكاليات هامة تواجههما ويمكن إيجازها فى التالى:

إن فكرة الوعى الكاملFull Awareness ليست ميزة ، حيث إن العقلانية ــ بالمعنى العادى ـــ تتألف غالبًا ليس من استخدام المعلومات الكاملة ـ كما يدعى " رايلتون " ـ وإنما من استغلال المعلومات المحدودة على أفضل وجه . ولقد أشار " آلان جيبارد " إلى أن العمل بوعى كامل لكل الوقائع ذات الصلة لا يشير إلى العقلانية فقط ، وإنما لشى آخر أشبه بـ " معايير الضمان أو التأكيد Norms of Warant " كذلك .**(Gibbard,1992,Pp,943-944)**

ومن ثم لا يشترط أن أتتبع كل المعلومات ، وإنما بعضها فقط قد يكون مفيدًا ، فمن خلال النصيحة أستطيع الوصول إلى أقصر معلومات توصلنى إلى الحقيقة الكلية ؛ فمثلاً أحد المحققين الذى يحقق فى جريمة معينة ؛ قد يرهق ارهاقًا شديدًا إذا حاول تتبع كل أثر كان ؛ مقارنة إذا جاءه أحد الشهود وأخبره بالدليل القاطع أنه رأى الجريمة وقدم الدليل على ذلك . فذلك الموقف يدل على أقصر الطرق للمعرفة وليست المعرفة كلها.

كيف نتيقن من صدق المعلومات الكاملة ـــ بالمعنى الذى يتبعه "براندت ورايتلون "؟. فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما نقوم بعمل تقصى لحقائق حرب ما ، فإننا على التو سنحاول الوصول إلى أحد المحاربين المشاركين فى هذه الحرب ، لكن ما الذى يدرينى أنه يقص الحقيقة وخاصة أنه قد يعانى من اضطرابات وألآم بعد الحرب ، فبالضرورة إنه لن يستطع التحكم فى انفعالاته وأحكامه ، حيث ستتسق أحكامه مع آلامه الذاتية.

*** فبالرغم من التشابه بين " نظرية الملاحظ المثالى " ورؤية " رايلتون "، حيث أن الاثنين يتفقان فى رد المعرفة إلى الشخص العقلانى كلى الإدراك ، كلى المعرفة ، إلا أننا نشك فى فكرة كلى المعرفة والإدراك لصعوبة التيقن من صدق المعلومات المتوفرة لديه.

التعقيب:

سنتناول في هذا التعقيب أهم ما توصلنا إليه من نتائج في ضوء التساؤلات المحورية التي طرحناها في بداية البحث وهي علي النحو التالي:

(أولاً) : أما فيما يتعلق بالتساؤل الأول: كيف يمكن إدراك ما هو خارج حيز "الزمكان" وما أبرز إشكاليات هذا التداخل؟

تباينت آراء " الواقعية " حول القيم والأخلاق على مدار الحقب الفلسفية ، نتيجة لاختلاف طبيعة المنهجين ، فهناك ماهو غير " زمكانى " مفارق للطبيعة ، وهناك ماهو داخل حيز "الزمكان" ، أى يوجد داخل الطبيعة ذاتها. فبالرغم من وجود اختلاف قوى بين هذين العالمين المختلفين ظاهريا ؛ الا أن هناك العديد من المحاولات التى استطاعت التوحيد بينهما عبر الحقب الفلسفية المختلفة.

وتعد نظرية "المثل" عند أفلاطون أحد الاتجاهات القديمة التى استطاعت التوفيق بينهما، حيث رأى "أفلاطون" أنه من الأفضل ليس دراسة الأشياء الحسية فى وجودها المادى فقط ، وإنما دراستها فى صُورّها. فالمثل أو الصور بمثابة الحقيقة الثابتة ــ غير الزمكانية ـــــ وراء الظواهر المحسوسة ـــــ الزمكانية ـــــ دائمة التغير. ومن ثم يعد " أفلاطون "هذه المحسوسات على تغيرها بمثابة تمثيل لصور كلية ثابتة هى الأجناس والأنواع ، وتتحقق وفقًا لأعداد وأشكال ثابتة كذلك، فإذا فكرت النفس فى هذه الماهيات الثابتة ، أدركت أولاً أن لابد لاطرادها فى التجربة من مبدأ ثابت ؛ لأن المحسوسات حادثة تكون وتفسد ، وكل ما هو حادث فله علة ثابتة ولا تتداعى العلل إلى غير نهاية.

كذلك القديس "توما الأكوينى" الذى اعتمد على الاستدلال العقلى فى مناقشته فكرة الارتباط بين العالم الخاضع لحيز "الزمكان" وغير الخاضع لهذا الحيز، وذلك من خلال فكرة "القانون الطبيعى" الذى يَرُدّ كل شىء إلى الله، تلك الحقيقة الجامعة بين العالمين السابقين.

أما المذهب الواقعى فى صورته الحديثة فقد ارتبط بالعلم نتيجة للاكتشافات العلمية الحديثة ـــ تلك الاكتشافات التى تعد سمة هذا العصر ـــ فهذا المذهب يؤمن أننا ندرك موضوعات فيزيائية توجد مستقلة عن فعل الإدراك، أى أنها مفارقة لما هو موجود فى الطبيعة. ومن ثم يعد هذا المذهب ببساطة فى صورته الحديثة بمثابة القدرة على إحداث أو توليد هذا الإحساس فى الذات. هذه القدرة لا تُدرك، وإنما يُستدل عليها عن طريق نظرية علمية. وهذا النوع من الواقعية يعرف بالواقعية المهتمه بالحقائق الطبيعيه الميتافيزيقية أو "ضد ـــ الواقعية"؛ والتى تكمن طبيعتها فى إنكار كافة الصور الأفلاطونية المفارقة، علمًا بأن تلك الأشياء الموجودة فى عالمنا تعد جزءًا من الطبيعة، ولها سببُ طبيعى لوجودها يجب تفسيره بطريقة علمية صحيحة.

أما عن "واقعية ــ كورنيل" و"بيتر رايلتون " فقد انطلقا من مبادىء العلم التجريبى مستخدمين أدوات العقل المختلفة من أجل إدراك التقارب بين هذين العالمين. وهذا ما انعكس على رؤيتهما للخصائص الأخلاقية بوصفها خصائص طبيعية. هذا على النقيض من موقف "جورج ادوارد مور" الذى عمل على رفض وجود الحقائق الأخلاقية الموضوعية، لأنه ـ وفقًا لمور ـ ليس من الممكن أن توضع الحقائق الأخلاقية داخل إطار طبيعى، فكلمة الخير ... الخ عبارة عن سمة غير طبيعية فريدة وغير قابلة للتعريف مثل "الأصفر"مثلاً، وبناءً على ذلك رفض "مور" السمات الطبيعية الأخلاقية، ورأى أن البشر مزودين بقدرات بديهية خاصة تمكنهم من اكتشاف هذه الظواهر الأخلاقية الفريدة. بل أطلق على كل ما يخلط بين الأخلاق والطبيعة مسمى "مغالطة طبيعية" ، وهذا ما يعد أبرز إشكالية للتداخل بين هذين العالمين.

(ثانيًا) : أما فيما يتعلق بالتساؤل الثانى: ما رؤية " واقعية ـــ كورنيل " لتفسير التداخل بين العالمين ؟ وما أهم ملامحها ؟

تنبع رؤية " واقعية ــ كورنيل " من اختلافها مع "جورج ادوارد مور" . إلا أنه لا يمكن انكار إسهامات كل منهما . فيعد " مور " الوقائع الأخلاقية وقائع غير طبيعية ، أى غير موجودة فى الطبيعة، لأنها متفرده بذاتها. إلا أن جماعة "كورنيل" تؤمن بأن الحقائق الأخلاقية وسماتها هى جزء من الحقائق والسمات الطبيعية ؛ ومن ثم يلجأ أتباع "واقعية كونيل" دائمًا إلى تفسير نوع الوقائع الأخلاقية وطبيعتها بالإضافة إلى العمل على تبرير وجودها، باعتبارها خصائص وكيفيات موضوعية متداخلة مع العالم الطبيعى الواقعى . ومن خلال هذا التداخل بين الأخلاق والطبيعة حاولت" واقعية كورنيل " تفسير العلاقة بين العالمين المختلفين عن بعضهما البعض عالم "الزمكان" ، والعالم غير الخاضع لحيز "الزمكان."

ومن ثم يمكننا ايجاز أهم ملامح " واقعية ــ كورنيل " فى الآتى :

1. يزعم أتباع "واقعية كورنيل" واقعية خصائص أو كيفيات الوقائع الأخلاقية حيث إنها تعد جزءًا من البنية الطبيعية للعالم. فبالطريقة نفسها التى نرى بها ـــــ على سبيل المثال ـــــ الوقائع الفيزيائية، والكيميائية ،والبيولوجية التى هى جزء من العالم الطبيعى يمكن تبرير الواقعية الأخلاقية من خلال النظر بعناية إلى العالم الطبيعى.
2. ترى "واقعية كورنيل" أن السمات الأخلاقية سمات طبيعية؛ وأنها تتطابق منها.
3. كما يدل موقف "واقعية ـــ كورنيل" بأن السمات الأخلاقية سمات طبيعية على وجود علاقة تابعية. وليس معنى وجود علاقة تابعية أن السمات الأخلاقية أو حتى الطبيعية هى الأساس ونقيضها هو التابع، وإنما يتوقف ذلك على صحة النظرية المفسرة للموقف ذاته .

ولكننا نختلف مع "واقعيةــ كورنيل" فى وجود فكرة العلاقة التابعية، حيث تطبق هذه العلاقة التابعية ويعدونها ضرورية، كذلك على مجالين مختلفين عن بعضهما البعض أى الاخلاق والطبيعة. كما أنها لم توضح ماهية التابعية؛ هل يتطلب وجود تماثل أم لا ضرورة لوجود التماثل؟. هل هذه العلاقة تشبه علاقة الأعداد المتماثلة مثل 1،2،3،4.....الخ أم غير ذلك؟. أعتقد أن هذه العلاقة من غير المنطقى تطبيقها على مجال الأخلاق، نظرًا للإختلافات البينية بين الأفراد والمجتمعات ، وإنما يمكن أن تنطبق على العلوم التجريبية نظرًا للضرورة المنطقية فى العلم التجريبى على سبيل المثال ((H2oلا بد أن يتكون من ذرتين: هيدروجين وذرة أكسجين، هذه هى التابعية والضرورة، المفهوم يصعب تطبيقه على الأخلاق .

(ثالثًا) : أما فيما يتعلق بالتساؤل الثالث: ما رؤية "بيتر ــ رايلتون" للقيم الأخلاقية ، وكيف استطاع تبرير وجودها وتعريفها؟

بالرغم من أن "بيتر رايلتون" من أتباع "واقعية ـ كورنيل" إلا أنه لم يتفق معهم على الدوام واختلف معهم فى بعض النقاط:

1. تؤكد " واقعية كورنيل " على مبدأ " اللا ــ رد " ، حيث إن الخصائص الأخلاقية تعد خصائص طبيعية بل تعلو عليها ، إلا أن " رايلتون " كان على النقيض من ذلك ، وقال بمدأ الرد ، حيث عمل على رد الخصائص الأخلاقية إلى خصائص غير أخلاقية، ورأى أن تبريرنا لهذه الخصائص غير الأخلاقية إنما هو بمثابة تأكيد للوقائع الأخلاقية ذاتها. لذا يعتقد "رايلتون" أن الخصائص الأخلاقية تعد موضوعية وكذلك عقلانية. ولم يكتف رايلتون بمبدأ الرد فقط وإنما اعتمد على " مذهب التداعى المركب " القائم على فحص كل الأسباب

والمعطيات وعزلها بعضها عن بعض من أجل العمل على زيادة القيمة . هذا ما جعله مختلفًا عن سائر أعضاء " واقعية ــ كورنيل."

2. بينما يتبنى اتباع "واقعية ـــ كورنيل" "فكرة الاستدلال" وذلك من أجل التفسير. إلا أن "رايلتون" لا يعتمد على الاستدلال أكثر من اعتماده على "الرد" ، وخاصة من خلال رد وقائع القيم الأخلاقية إلى وقائع القيم غير الأخلاقية. وهذا المبدأ لا يتأثر بالإشكاليات التى قد وُجهت "لواقعية ـــ كورنيل" من خلال وجود بعض الأفكار العلمية التى تختلف عن الأخلاق مثل فكرة "الملاحظة"؛ فهو لا يعول عليها كثيرًا.

ويمكننا هنا الكشف عن أهم ملامح القيم الأخلاقية عند رايلتون فى الآتى:

1. أسس "رايلتون" رؤيته للقيم الأخلاقية على أساس رفض التمييز بين "الواقعة" و "القيمة"، ورأى أن رؤيته القائمة على "مبدأ الرد" تدعم هذا الرفض ، حيث من الممكن تعريف القيم من خلال ردها إلى الوقائع الطبيعية ، كما أن رفضه للتمييز السابق كان منصبًا على أن هذا التمييز قائم على أسس ضعيفه غير آمنه.

2. إن غرض "رايلتون" من التوحيد بين الواقعة والقيمة هو العمل على تعضيد أساسه الذى بنى عليه نظريته فى القيم والأخلاق، وهو "مبدأ الرد" والذى من خلاله يرد القيم الأخلاقية إلى القيم اللاـــ أخلاقية والعكس.

3. عمل "رايلتون" على رد "القيم الأخلاقية" إلى قيم "لاــ أخلاقية". ورأى أن القيم"اللاـــ أخلاقية" هى تلك القيم التى تهتم بالحالة الفردية أو الذاتية للفرد من خلال رؤيته الذاتيه لمصلحته الشخصية. هذا على النقيض من القيم الأخلاقية والتى يتحول من خلالها الخير الذاتى إلى خير عام. لذا اعتبر " رايلتون أن " القيمة الأخلاقية لفرد ما تتمثل فى موقفه النهائى من منطلق المعرفة الكاملة بنفسه وبظروفه، والتحرر الكامل من الخطأ المعرفى أو السقطات العقلانية الأداتية. ومن ثم يطلق "رايلتون" على ذلك الاهتمام الذى تعكسه القيمه الأخلاقية لفرد ما مسمى "الاهتمام الذاتى ذا الطابع الموضوعى Objectified Subjective Interest"والعكس صحيح. أو ببساطه الاهتمام الموضوعى.

4. إن طبيعة القيم عند رايلتون لا تعد ذاتية خالصة ولا موضوعية خالصة ، وإنما هى كامنة فى المركب الجامع بين الذاتية والموضوعية أى يمكن اعتبارها قيمًا علائقية.

5.فى إطار الدور الذى اتبعه "رايلتون" فى تحليله للقيم الأخلاقية من خلال ردها إلى قيم لاـــ أخلاقية بالإضافة إلى اتباعه لمذهب التداعى المركب بغرض زيادة القيمة إلى أقصى حد، يتبين لنا دور العقلانية الأداتية فى ذلك. من خلال توجيه الفرد إلى الوسائل التى من خلالها يستطيع تحقيق الغايات المُثلى، وذلك من أجل تحقيق الاستقرار، واشباع الحاجات البشرية.ويتوقف صدق الممارسة العقلانية على نتيجتها والفائدة التى تكمن وراءها.

بصفة عامة يمكن أن نصف نظرية "رايلتون" بالعديد من الصفات بعيدًا عن الانتقادات التى وجهت اليه:

1. تعد مدخلاً هامًا للبحث عن أفضل المصالح أو الغايات التى نريدها ونرغبها ، وذلك من خلال مبدأ الرد ،ومذهب التداعى المركب الذى من خلالهما يتم فحص العديد من الأسباب أو مقدمات الفعل الأخلاقى حتى نتبين الأفضل، ثم نحاول تحقيقه.

2. تعد نظرية " رايلتون " نظرية معرفيةCognitive إدراكية قائمة على إدراك الفرد لكل أسباب ومعطيات الفعل الأخلاقى ، وما يساعده على ذلك القوى العقلية التى فطر عليها.

3. تعد نظرية " رايلتون " متوافقة تمامًا مع نظرية هيوم فى الدافع، وذلك من خلال اعتقاده بأن لكل معلول علة تدفعه، كذلك رايلتون يرى أن لكل نتيجة أخلاقية سببًا معينًا يسبقها أو مجموعة أسباب تؤدى إليها ، ومذهب التداعى المركب يؤكد ذلك.

4. إنها كذلك نظرية طبيعية تمامًا لا يحتمل الشك فى أى نتيجة تتوصل إليها ، لأن جميع النتائج ملموسة لكل الأفراد ، بعكس "جورج ادوارد مور" الذى رفض أن تكون الأخلاق طبيعية ، وأصبحت شيئًا لا يمكن وصفه لأنه بالغ التفرد.

5. تنتمى نظرية " رايلتون " إلى مبدأ الرد لذلك لا تصطدم الإشكاليات التى ظهرت فى واقعية كورنيل من كون السمات الأخلاقية التى تتبع السمات الطبيعية هل تتبعها تماثليًا أم لا تماثليًا ؟ هل تتشكل بها أم تتطابق معها ؟ ... الخ .

6. إن منهج " رايلتون " قائم على تجنب " الحدس " واستعمال العقل ، لكنه لم يميز بين قوى العقل المختلفه ، وقصرها على العقلانية الأداتية ، مما عرضه لعدة انتقادات كما سبق توضيحه.

قائمة المصادر والمراجع.

(أولاً): المصادر الأصلية لـ"بيتر رايلتون ":

1. Railton,Peter: Alienation, Consequentialism, and the Demands of Morality, Philosophy&Public Affairs, Vol.13, No.2,1984.Pp.134-171.
2. ----------: Moral Realism ,Duke University Press on Behalf of Philosophical Review,Vol.95,No.2,1986.Pp.163-207.
3. ----------: Naturalism and Prescriptivity,(in)Social Philosophy and policy,Volume 7,1989.Pp.151-174.
4. ----------:Moral Theory As A Moral Practice,Central Division Meeting ,A.P.A, Vol. 25, No. 2, 1991.Pp.185-190.
5. Darwall,Stephen;Gibbard,Allan;and Railton,Peter: Toward Fin de siecle Ethics – Some Trends *The Philosophical Review*, Vol. 101, No. 1, Philosophy in Review: Essays on ContemporaryPhilosophy. (Jan., 1992), pp. 115-189.
6. ----------:Some Questions About the Justification of Morality, Philosophical Perspectives , 1992, Vol. 6, Ethics (1992).
7. ----------: Noncognitivism about Rationality: Benefits, Costs, and an Alternative, Philosophical Issues, Vol. 4, Naturalism and Normativity,1993.Pp.36-51.
8. ----------: Reply to David Wiggins, (In) John Haldane and Crispin (eds): Reality, Represenation and Projection, Oxford University Press, New York, 1993.Pp.315-328.
9. ----------: What the Non-Cognitivist Helps Us To See The Naturalistic Nust Help Us To Explain,(In),John Haldane and Crispin Wright (eds): Reality,Represenation and Projection,Oxford University Press,New York, 1993.Pp.279-300.
10. ----------: Made in the Shade- Moral Compatibilism and the Aims of Moral theory, (In); Jocelyne couture and kai Nielsen (eds): in on the relevance of metathics,Calgary university press, 1995.Pp.79-106.
11. ----------: Subject-ive and objective,Ratio (New Series) VIII, Blackwell Publishers, December 1995.Pp.259-276.
12. ----------: Moral Explanation and Moral Objectivity,Philosophy and Phenomenological Research,Vol.58,No.1,1998.Pp.175-183.

13.----------: Facts and Values,Cambridge University Press,New York, 2003.

14.----------: Moral Realism , Précis of Facts, Values, and Norms, Philosophical Studies: An International Journal for Philosophy in the AnalyticTradition, Vol. 126, No. 3 ,2005.Pp.429-432.

(ثانيًا): مصادر أجنبية أخرى ؛ " مؤلفات أتباع (واقعية ــ كورنيل):

1. Boyd,Richard: How to be a Moral Realist?,(in) Geoffrey sayre-McCord(eds): Essays On Moral Realism,Cornell University Press,1988.Pp.181-228.
2. Brink,David: Moral Realism and the Foundations of Ethics, Cambridge University Press, 1989.
3. ----------:"Realism,Naturalism, and MoralSemantics "Social Philosophy and Policy, Vol.18,Cmbridge University,2001.Pp.154-176.
4. Sturgeon,Nicholas: Moral Explanations, (In), David Copp (Ed): Morality Reason and Truth, New Jersey,Rowman and Allehand,1984.Pp.49-78.

(ثالثًا) المصادر والمراجع الأجنبية العامة :

1. Alexander Miller: Introduction to Contemporary Meta-Ethics, Oxford, Blackwell, 2003.
2. Beandt,R:Ethical Theory-The Problems of and Critical Ethics,Englewood Cliff,N.J.Prenrice Hall,Inc,1959.
3. ----------:Theory of the Good and The Right,Oxford University Press,1979,P.225.
4. Bernard,Williams:Ethics and the Limits of Philosophy, Harvard University Press, U.S.A,1985.
5. Edward Paul: The Logic of Moral Discourse,Free Press, U.S.1955.
6. Field:truth and the Absence of Fact, Oxford University Press,2001.
7. Firth,Rodrick : Ethical Absolutism and the Ideal Observer, Philosophy and Phenomenological Research, Vol. 12, No. 3,1952.
8. Gaskin, J. C. A: Thomas Hobbes Leviathan, Oxford university Press, New York, 1996.
9. George Berkeley: Principles of Human Knowledge Three Dialogues, Oxford University Press, 1996.

10. Gibbard,A: Précis of Wise Choices, Apt Feelings, Philosophy and Phenomenological Research, Vol. 52, No. 4 (Dec., 1992),,Pp.943-945.
11. ----------: Five Girls on Rock,(In); Derek Parfit: On What Matters London Review Of Books Vol.34,No.11.2012.
12. Grcic,Joseph: Moral Choice-Ethical Theories and Problems, West Publishing Company, U.S.A,1989.
13. Harman,Gilbert: The Nature of Morality, Oxford University Press,1977.
14. Hilary Putnam: Reason,Truth,and History, Cambridge university Press, 1981.
15. Hobbes,T: Leviathan,Edited by C.B. Macpherson,Harmondswirth, Middlesex,Penguin, 1981.
16. Horgan,T&Timmons,M: Troubles On Moral Twin Earth- Moral Queerness Revived, Synthese92,1992.
17. James Olthuis: Facts,Values and Ethics, Van corcum & Comp.N.V.Assen,1969.
18. Jonas Olson : Moral Error Theory-History,Critique,Defence,Oxford University Press,2014.
19. Korsgaard,C:The Normativity of Instrumental Reason, (In);Garrett Cullity and Berys Nigel Gaut (eds): Ethics and Practical Reason, Clarendon Press ,1997, Oxford.
20. Mackie,J: Inventing Right and Wrong, Pelican books,england,1977.
21. Mark Timmons: Moral Theory, Rowman&Lottlefield Publishers,2001.
22. ----------: Morality Without Foundations, Oxford University Press,1999.
23. Mill, John Stuart: Utilitarianism, The University of Chicago Press,U.S.A,1906.
24. Moore: Principia Ethica, Cambridge University Press,1903.
25. Richard Carrier: Sense and Goodness Without God,A Defense of Metaphisical Naturalism, Author House, 2005.
26. Pigden, C (Eds): Naturalism, A Companion to Ethics, Oxford, Blackwell press, 1993.

27. Putnam, H : The Mental life of Some machines,(In) Castaneda, H (Ed): Intentionality Minds and Perception, Deroit, wayne State University Press, 1967.

28. Robert Nozick: Invariance: The Structure of the Objective World, Harvard University Press, 2001.

29. Russ Shafer-Landau: Moral Realism, Oxford University Press, 2005.

30. Shelly k: Does Consequentialism Demand Too Much?Recent Work On Limits Of Obligation, Philosophy&Public Affairs13.No.3,1984.

31. Smith M : The Moral Problem, Oxford, Blackwell Press,1994.

32. Stocker,M:The Schizophrenia of Modern Ethical Theories, Journal of Philosophy73,No.14,1976.Pp.453-466.

33. Thomas Nagel : Mind and Cosmos: Why the Materialist Neo-Darwinain Conception of Nature is Almost Certainly False,Oxford University Press,2012.

(رابعًا) الموسوعات والمعاجم الأجنبية :

1. Craig,Edward:The Shorter Routledge Encyclopedia of hilosophy, Routledge,London,2005.
2. John Lachs , Robert Talisse (eds): American Philosophy – An Encyclopedia , Routledge Taylor& Francis Group, New York,(2008).
3. Schiller, F . C. S : Value (In) Encyclopedia Of Religion and Ethics, Vol.12 ,(Ed) by: James Hastings, London , 1934.

(خامسًا) المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة للعربية :

1. أفلاطون: محاورة فيدون، ترجمة:عزت قرنى ، ط3 ، دار قباء ، القاهرة ، 2001م.
2. -----: محاورة الطيماوس واكريتيس، ترجمة: الأب فؤاد جرحى بربارة، تحقيق وتقديم : ألبير ريفو ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2014م .
3. فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الثامن ،ط1،ترجمة : محمود سيد أحمد ، مراجعة:إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومى للترجمة والنشر، القاهرة ،2009م.
4. ----------: تاريخ الفلسفة، المجلد الثانى ، ط1 ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ، المركز القومى للترجمه، القاهرة، 2010م.
5. هنترميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة : فؤاد زكريا ، ط 2 ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، 1975م.
6. هيوم: مبحث فى الفاهمة البشرية، ترجمة: موسى وهبه ،ط1، دار الفارابى، لبنان، 2008م.

(سادسًا) المراجع العربية :

1. أميرة حلمى مطر:الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء ، القاهرة، 1998م.
2. بهاء درويش: مفهوم التحليل عند جورج ادورد مور، مجلة جامعة دمشق، المجلد25، العدد الأول والثانى،2009م.
3. توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة فى الأخلاق،النهضة المصرية، القاهرة،1953م.
4. توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق ،ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.
5. زكريا إبراهيم : مبادئ الفلسفة والأخلاق ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1959م.
6. ------- : دراسات فى الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1968م.
7. صفاء عبد السلام جعفر(وآخرون):قراءة للمصطلح الفلسفى دار كلمة ، الإسكندرية، 2012م.
8. صلاح قنصوة: نظرية القيمة فى الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،1981م
9. عبد الرحمن بدوى: فلسفة العصور الوسطى ، ط3 ، دار القلم ، لبنان ، 1979م.
10. عزمى اسلام: اتجاهات فى الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1980م.
11. محمد محمد مدين : فلسفة هيوم الأخلاقية،دار التنوير ، لبنان ، 2008م.
12. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ، هنداوى للنشر والتوزيع القاهرة ، 2012م.
13. ------: تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط، مؤسسة هنداوى للنشر، القاهرة، 2014م.
14. ..... : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط5 ، دار المعارف ، القاهرة ، ب ت.

(سابعًا) الموسوعات والمعاجم العربية :

1. جميل صليبا : المعجم الفلسفي، جـ1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982م.
2. ------- : المعجم الفلسفي، جـ2، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982م .
3. جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط 3 ، دار الطليعة ، لبنان ، 2006م.
4. عبد المنعم الحفنى: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ2، مكتبة مدبولي القاهرة، د.ت .
5. ..... : المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ، باب: التاء،مكتبة مدبولى، القاهرة،200م.
6. روزنتال ويودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت،1987م.
7. مراد وهبه : المعجم الفلسفى ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2007م.

Realism of "Ethics and Values" for the American "Cornell" School - "Peter Albert Railton" as a model

Motaz ahmed ahmed ahmed Ibrahim Aboelkair

Department of Philosophy,Faculty of Arts,Mansoura University

Motaz.aboelkair@mans.edu.eg

Abstract:

American Cornell School is considered as one of the most famous American philosophical schools that focused on highlighting the reality of ethics and values, contrary to what some have claimed that the field of “ethics” and “values” is different from reality, so how can we explain human obedience to their rulings that contradict reality.

Hence the importance of the Cornell School, which was concerned with subjecting all ethic issues that are not subject to the "space-time" to the scope of natural topics by adopting the causes of modern empirical science, which is a characteristic of this era. This type of realism can be called "exaggerated realism", which was also crystallized in one of its followers, "Peter - Railton". He believes that ethic judgments include the values of honesty, and that moral characteristics follow natural characteristics. Railton also believes that rational thinking fails to reveal the true reason behind obeying ethic commands despite their application to the outside world around him.

So, we will try to the show the role of the “American Cornell School” and “Peter Railton” in explaining the similarity between the field of “realism” and the field of “values” and “ethics”; which explains how a person obeys their rules.